

جاءتكم الكتب



(كتاب التربية الإسلامية)
الصف التاسع
تأليف
علي حسن غلوم

جميع حقوق الطبع محفوظة

١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م

الطبعة الأولى



٩
١٢
١٥
١٨
٢١

سورة الحديد - ١
سورة الحديد - ٢
سورة الحديد - ٣
سورة الحديد - ٤
سورة الحديد - ٥

القرآن
الكريم



٢٧
٣٠
٣٢
٣٤
٣٧

تهمة الاعتقاد بتحريف القرآن
فلسفة الكوارث والآفات
بحوث في الإمامة - ١
بحوث في الإمامة - ٢
البداء

العقائد



٤١
٤٣
٤٥
٤٧
٤٩

نحن والقرآن
الحياة وثبات الموقف
القانون - الأخلاق - التقوى
مسؤوليتنا في الدعوة
الجفاف الروحي

قضايا
إسلامية



٥٣
٥٥
٥٧
٥٩
٦١

الحدث الأصغر والوضوء
الحدث الأكبر - ١
الحدث الأكبر - ٢
العمرة المفردة - ١
العمرة المفردة - ٢

المفقه



٦٥
٦٧
٦٩
٧١
٧٣

انصحوا غيري أرجوكم
أولى الناس
أنا رجل !!
لعنة من جيل.. إلى جيل
هل الدنيا مظاهر؟

حواريات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

الحمد لله الذي أنعم علينا بالإيمان والهدى، وأنار قلوبنا بالمعرفة والتقى، وبعث إلينا نبي الرحمة محمدا المصطفى، واختار لنا أعلاماً ميامين وأئمة هادين، أولهم المرتضى أمير المؤمنين وآخرهم الحجة القائم المهدي صلوات الله عليهم أجمعين.

عاشت المكتبة الإسلامية خلال العقود الماضية حالة شديدة من الجذب في عالم المؤلفات التي تخاطب الأطفال والشباب باختلاف أعمارهم ومستوياتهم العقلية والفكرية والدراسية، وخاصة الكتب والمناهج الدراسية الموضوعية لعلوم الدين ومسائله المختلفة كالقرآن والحديث والفقه والتاريخ الإسلامي، إلا أنه خلال السنوات القليلة الماضية بدأت الحياة تدب في مشاريع رائعة تخص هذا المجال، إذ سعى جمع من العلماء والتربويين - وفقهم الله تعالى - إلى تأليف وإعداد مجموعة من الكتب والقصص الخاصة المناسبة للأطفال والشباب، ولا قت رواجاً وإقبالاً كبيراً، إلا أن الحاجة إلى المزيد من المؤلفات في هذا المجال أمر غير قابل للإنكار .

ومن هذا المنطلق - وبعد التوكل على الله عز وجل وبالتعاون مع بعض الأخوة المؤمنين ومن خلال الاستعانة ببعض الموضوعات المنشورة مسبقاً - عقدت العزم على تأليف اثني عشر كتاباً دراسياً لمادة التربية الإسلامية ابتداءً بالصف الأول وختاماً بالصف الثاني عشر على أن تكون سلسلة المرحلة الابتدائية تحت عنوان ((حقائق الإيمان)) والمرحلة المتوسطة ((بساين الإيمان)) والمرحلة الثانوية ((واحات الإيمان)) بحيث تغطي مساحة كبيرة من الاحتياجات والمعارف الدينية الرئيسية للأطفال والشباب، ويمكن الاستفادة منها في الدورات الدراسية التي تعقد في المراكز الدينية وغيرها.

وقد راعيت قدر الإمكان تقديم المادة الدراسية بصورة مبسطة وسلسة، والاعتماد على الأسلوب القصصي في كثير من الأحيان، وذلك لتلائمه مع طبيعة الاهتمامات والمستويات الفكرية لتلك المراحل الدراسية. وتم المشروع قبل عقد من الزمان، وأعد على سبيل التجربة في صورة ملازم مطبوعة طباعة مبسطة، وتم تدريس هذه الكتب خلال السنوات الماضية وفي أكثر من مركز ديني، وفي أكثر من بلد، كما تمت إضافة بعض التعديلات المقترحة من قبل بعض التربويين الذين اطلعوا عليها علاوة على الأساتذة الأفاضل الذين قاموا بتدريس هذه الكتب وبشكل دوري حتى استقر الرأي على الصورة النهائية لها، والتي قررت على أساسها إخراجها مجلتها الجديدة وبطبعتها الملونة المصورة.

وختاماً أود أن أتقدم بالشكر الجزيل لكافة الأخوة الذين ساهموا فكرياً ومادياً في إنجاح المشروع، وأسأل الله عز وجل لهم ولي التوفيق والسداد وقبول الأعمال إنه سميع مجيب.

الكويت - علي حسن غلوم

١٤٣٠ هـ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

القرآن الكريم

سورة الحديد - ١

شرح المفردات

سَبَّحَ: نزه
العزیز: القوي الذي لا يقهر
استوى: سيطر واستولى
العرش: في اللغة هو كل
شئ له سقف، كما يطلق
على السقف أيضاً
يلج: يدخل
يعرج: يصعد



جاءت تسمية هذه السورة بـ (سورة الحديد) لما جاء في الآية ٢٥ من السورة من ذكر كلمة الحديد. وقد وردت في الروايات الإسلامية نقاط جديرة بالملاحظة حول فضيلة تلاوة سورة الحديد، أي تلاوتها مع التدبر والعمل، ونمودج ذلك ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: (من قرأ سورة الحديد كتب من الذين آمنوا بالله ورسوله)، ولعل منشأ ذلك هو ما في هذه السورة من مفاهيم وعقائد تبني الحالة الإيمانية عند المسلم.

وقد بدأت هذه السورة بموضوع التوحيد، وذكرت عشرين صفة من صفات الله سبحانه، ليزداد المسلم من خلالها معرفةً بخالقه سبحانه. وأول كلمة بدأت بها السورة بعد البسملة قوله تعالى (سَبَّحَ)، وحقيقة التسبيح عبارة عن نفي كل عيب ونقص عن الذات الإلهية، وكل المخلوقات تشهد - من خلال عظيم خلقتها وعجيب نظم أمرها - أن الله سبحانه مالكها ومدبر أمورها، وهو منزّه عن كل عيب، وله القدرة اللامتناهية، والحكمة اللامحدودة (وهو العزيز الحكيم).

العزة والقدرة:

الاختلاف بين العزة والقدرة هو أن العزة أكثر دلالة على تحطيم المقابل، والقدرة تعني توفير الأسباب وإيجادها، وبناءً على هذا فإنهما يعدّان وصفين مختلفين بالرغم من أنهما مشتركان في أصل القدرة. والملاحظ أن الله سبحانه ذكر الإحياء والإماتة بصورة فعل مضارع مما يدلّ على استمرار مسألة الحياة

والموت على طول الأزمنة، وإطلاق هذين المعنيين لا يشمل حياة وموت الإنسان في هذا العالم فقط، بل يشمل كل حياة ومات بدءاً من الملائكة وانتهاءً بكل موجود حيٍّ من الحيوانات والنباتات المختلفة، كما أنها لا تقتصر على الحياة الدنيا فقط، بل تشمل حياة البرزخ والقيامة أيضاً.

خمس صفات:

ثم تذكر الآيات الكريمة خمس صفات أخرى (الأول والآخر والظاهر والباطن و العليم). أما (الأول والآخر) فتعبر عن أزليته وأبديته سبحانه، لا بداية له ولا نهاية، وبنء على هذا فإنه كان من الأزل وسيبقى إلى الأبد. وأما (الظاهر والباطن) فبمعنى أن وجود الله بالنسبة لجميع المخلوقات أظهر، لأن آثاره شملت جميع مخلوقاته في كل مكان. وهو خفي أكثر من كل شيء لأن حقيقة ذاته لم تتضح لأحد.

إن من نتائج هذه الصفات المتقدمة أنه (بكل شيء عليم) لأن من كان في البداية ويبقى في النهاية، وموجود في ظاهر وباطن العالم سيكون - قطعاً - عالماً بكل شيء.

الآيات ٤-٦:

بدأت الآيات بذكر مسألة الخلق في ستة أيام، وقد ذكر ذلك سبع مرات في القرآن الكريم، وليس المقصود من (اليوم) الوحدة الزمنية المكونة من ٢٤ ساعة، بل المقصود هو (الزمان) ولو كان طويلاً بمقدار ملايين السنين. وطبيعي أنه لا يوجد أي مانع أمام الله عز وجل من خلق جميع العالم في لحظة واحدة، ولكنه أراد للحياة أن تتدرج في الوجود من خلال ارتباط بعضها ببعض في طريقة تكاملية.

إن الله سبحانه الذي خلق هذا الوجود العظيم لم يخلقه عبثاً ولم يتركه بلا نظام، فهو المهيمن المسيطر صاحب السلطة المطلقة التي لا يمكن لأحد أن يتدخل في شئونها، وهذا ما يشير إليه قوله سبحانه (ثم استوى على العرش).

وقد يتصور البعض أن هذا العرش كعرش الملوك، مكانٌ يحل فيه الله سبحانه أو يجلس عليه، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً، وهذا التصور الخاطئ لا يمكن قبوله قطعاً، لأن الله ليس بجسم، وهو المحيط بكل شيء ولا يحيط به شيء، وهو الغني فلا يحتاج إلى شيء. وما التعبير بالاستواء على العرش إلا كناية عن الحاكمية المطلقة لله سبحانه ونفوذ تدبيره في عالم الوجود.

العليم الرقيب:

علم الله لا متناهي، فلا يغيب عن علمه أي موجود ولا حركة ولا تغير في الأرض أو في السماء، وهو يرى ويسمع ويراقب ويدير الوجود بحكمته ولطفه. وبالرغم من أن جميع هذه الأمور التي ذكرت قد جمعت في قوله (وهو بكل شيء عليم) إلا أن توضيح هذه الأمور يعطي للإنسان توجهاً أكثر في مجال سعة علم الله. وإذا فكرنا قليلاً بأن في كل لحظة تدخل الأرض ملايين الملايين من الموجودات المختلفة، وملايين الملايين من الموجودات تخرج منها، وملايين الملايين تنزل من السماء أو تصعد إليها، ولا يستطيع أي مخلوق أن يحصيها،

إذا فكرنا بهذا الموضوع قليلاً فسنعرف مدى اتساع علمه سبحانه. إن إدراكنا لسعة علم الله والإحساس بأنه معنا في كل مكان يثير فينا إحساساً شديداً بالمسؤولية، لأن الله حاضر معنا في كل مكان، ونأظر ومراقب لأعمالنا، وهذا الاعتقاد يمثل دافعاً جدياً للتقوى والطهارة والعمل الصالح. ولذا روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: (إن من أفضل إيمان المرء أن يعلم أن الله تعالى معه حيث كان). وعندما يكون الخالق والمالك والمدبر معنا في كل مكان، فمن البديهي أن يكون رجوعنا ورجوع أعمالنا إليه كذلك.

الليل والنهار آيتان:

إن هذا التداخل الرائع في تغير الزمن كل يوم وهو ما يعبر عنه بـ (اختلاف الليل والنهار) والتداخل في المسافات الزمنية، عندما يطول الليل فيمتد إلى الساعات التي كانت نهاراً في هذا الفصل، أو يطول النهار فيمتد إلى الساعات التي كانت ليلاً في ذلك الفصل، من خلال التدبير الكوني المتقن المبدع... كل ذلك من دلائل عظمة الخالق وحكمته وقدرته.

وكما أن أشعة الشمس الباعثة للحياة تنفذ في أعماق ظلمات الليل، وتضيء كل مكان، فإن الله عز وجل ينفذ في كل زوايا قلب وروح الإنسان، ويطلع على كل أسرار.

ماذا نستفيد من هذا الدرس ؟

١. كل الموجودات تنزه الله سبحانه عن كل عيب ونقص.
٢. معرفة صفات الله تنمي إدراك الإنسان بخالقه عز وجل.
٣. كل الأمور بيد الله سبحانه، فهو الخالق المسيطر المدبر لكل شيء.
٤. الاعتقاد بسعة علم الله وإحاطته بكل شيء تدفع المسلم إلى الاستقامة في حياته.
٥. التفكير في عظمة ما خلق الله يزيد الإنسان إيماناً وحباً وطاعة لله سبحانه.

أسئلة حول الدرس

- ابحث في القرآن الكريم عن الآيات التي تحدثت عن خلق السماوات والأرض في ستة أيام، ودون إحداها.

سورة الحديد - ٢

شرح المفردات

مُسْتَخْلَفِينَ: استخلاف
الإنسان جعله خليفة.
يَسْتَوِي: الاستواء بمعنى
التساوي.



بعد البيان الذي تقدّم حول دلائل عظمة الله سبحانه في عالم الوجود وصفاته، وجّه الله عز وجل دعوة قد تكون عامّة لجميع البشر، فكما تدعو المؤمنين إلى إيمان أكمل وأرسخ، فإنها تدعو غير المؤمنين إلى التصديق والإيمان بما جاء به النبي صلى الله عليه وآله وسلم، في حالة موافقة وتكامل مع أدلة التوحيد التي تناولتها الآيات التوحيدية السابقة.

ثم انطلقت الآية لبيان الترجمة الحقيقية للإيمان والتي تتحقق من خلال الإنفاق في سبيله، وهي دعوة إلى الإيثار والتضحية والاستجابة لأمر المالك الحقيقي لكل شئ وهو الله سبحانه، وما هذه الأموال والممتلكات التي بيد الناس إلا أمانة وضعت بأيديهم لفترة محدودة، كما استُخْلِفَ فيها مَنْ قبلهم. وعلى الرغم من هذه الحقيقة، إلا أن الله تعالى يعد المؤمنين المؤثرين على أنفسهم عطلةً جزيلاً في الدنيا والآخرة.

دعوة للإيمان العملي:

قد تتساءل: كيف يطلب الله من المؤمنين أن يؤمنوا؟ وربما يجاب عن ذلك أن المقصود بالإيمان بربهم هو الإيمان العملي الذي يتحول إلى حالة شعورية، تتمثل في الانسجام مع أوامره ونواهيه، وفي الرغبة في الحصول على رضاه، لأن الإيمان الذي لا يصدّقه العمل، قد يكون مجرد صورة في الفكر، وأقرب إلى الشك منه إلى اليقين.

إن الإيمان بالله عهدٌ وميثاق بين الله وبين عباده، لأن الالتزام بالتوحيد يفرض الالتزام بالحركة في خطّه والاستقامة على دربه بالسير على هدى الشريعة في أحكامها، وليس القرآن مجرد كلماتٍ وآياتٍ لتعامل معها بصورة نظرية، بل هو نور يشرق في العقل ليدفعه بعيداً عن ظلمات الفكر، وشعاع ينفذ إلى الشعور ليبعده عن ظلمات العاطفة المنحرفة، وينطلق إلى الحياة ليتحول إلى شعلةٍ تضيء للسائرين في الظلمات دروبهم إلى الخط المستقيم، فالله رؤوف رحيم ولذلك يهدي الناس إلى الصراط المستقيم.

الحث على الإنفاق:

وتعود الآيات لتؤكد على مسألة الإنفاق في سبيل الله بأسلوب تساؤل استنكاري، فما الذي يمنعكم من الإنفاق في سبيل الله؟ هل تتصورون أنكم إذا بخلتم وامتنعتم عن الإنفاق فسيبقى المال لكم؟ أم هل ستبقون أنتم في خلود الحياة؟ لو فكرتم في الموضوع بطريقة واقعية فستعرفون أنكم ستموتون، وأن المال سيترككم أو تتركونه، لأن الله وحده هو الباقي وأنتم الزائلون، وهو وحده الذي يرث الأرض ومن عليها، كما يرث السماوات وما فيها ومن فيها، ولذلك فلا بد من تعميق الصلة بالله، بالعمل بما يحبه ويرضاه، وبالاتباع عما يسخطه ويرفضه. وإذا كان الإنفاق في سبيل الله سبباً لرضاه، فلماذا يمتنع الناس عنه، وهو الذي يبقى لهم ذخراً عند الله عندما يتركون الحياة، أو تركهم الحياة؟!

الإنفاق في ساحات الجهاد:

وكما هو الإنفاق المالي، نلتقي بالتضحية في ساحات الجهاد، إلا أن هناك فرقاً كبيراً بين الذين يجاهدون وينفقون في الظروف الصعبة القاسية التي كان الإسلام فيها يعاني من قلة العدد والعدة، وبين الذين يجاهدون بعد الفتح الذي كانت القوة فيه للمسلمين بحيث لم تكن هناك مشكلة كبيرة في العدد والعتاد، الأمر الذي يجعل الفئة الأولى في المواقع المتقدمة في درجات القرب من الله. وهذا لا يعني أن الفريق الثاني لن ينال الأجر من الله، ولكنها مسألة التفاوت في العطاء بمقدار التفاوت في التضحيات. والله يعلم عمق النية في القلب، وصدق الإحساس في الشعور،



وقوة الفكرة في العقل، واستقامة الخط في الطريق، ويعرف خفايا ذلك كله في درجاته ومواقعه.
التجارة مع الله:

ومن رحمة الله وفضله أن جعل عطء المؤمنين في سبيل الله بالمال وبغيره بمثابة القرض منهم له سبحانه، وإن كان الله هو المالك الحقيقي لكل شيء! وأخذ عزوجل على نفسه أن يضاعف عطءه الدنيوي وأجره الأخروي للمعطي المقرض تكريماً له وتفضلاً عليه، فيجعله مستحقاً لما لا يستحقه في ذاته! فسبحانه ما أكرمه!

ماذا نستفيد من هذا الدرس؟

١. الترجمة الحقيقية للإيمان تتحقق من خلال العمل الصالح كالإنفاق في سبيل الله.
٢. الله هو المالك الحقيقي لكل الوجود، وما في أيدي الناس يعد أمانة من الله عندهم.
٣. عطء الله جزيل في الدنيا والآخرة للذين يؤثرون على أنفسهم ويعطون من أموالهم ويضحون في سبيل الله بأرواحهم.
٤. الإيمان بالله عهدٌ وميثاق بين الله وبين عباده.
٥. المضحون في ساعات العسرة أرفع درجة عند الله من الآخرين.

أسئلة حول الدرس

- ابحث في القرآن الكريم عن الآيات التي تحدثت عن أهمية الإنفاق، ودون إحداها.



* اللوحة الأولى للفنان خسروجردي.

* اللوحة الثانية للفنان شانديز.

سورة الحديد - ٣

شرح المفردات

بُشْرَاكُمْ: المراد بالبشرى ما يبشر به وهو الجنة.
انظرونا: انتظرونا وأمهلونا.
نقتبس: نأخذ قبساً من النور.
بسور: السور: سور المدينة، حائطها الحاجز بينها وبين الخارج منها.
الأمد: الزمان.



حال المؤمنين يوم القيامة

الساحة هي ساحة القيامة، والمؤمنون والمؤمنات يتجمعون في ما يشبه المسيرة الإيمانية في صورة رائعة تحمل الفيض من النور الذي يتفايض من روحانيتهم لعلاقتهم المخلصة بالله، وتفكيرهم العميق الذي يحمل وضوح الرؤية، ولحركة العمل المخلص على نهج الشريعة الإلهية، فيسعى هذا النور بين أيديهم، ليضيئ ساحات القيامة، ويرتفع في آفاقها.

وينطلق النداء من الله، لهذه المجموعات النورانية: إن ثوابكم في هذا اليوم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها.. ليستريحوا من عناء الجهد الذي بذلوه في ما جاهدوا به أنفسهم في مواجهة الانحراف، وفي ما جاهدوا به الكفر والظلم والاستكبار، ولينعموا بالحياة الجديدة في رعاية الله وعنايته من دون جهد أو تعب أو عذاب. إن ذلك حقاً هو الفوز العظيم والنجاح الذي لا فشل بعده، والفرح الذي لا حزن معه.

حال المنافقين يوم القيامة

أما الذين عاشوا في ظلمات النفاق والازدواجية بين الباطن الغارق في الكفر والبغي والانحراف، والظاهر الذي قد ينطق بكلمات الإيمان والعدل والاستقامة، كل ذلك جعل الظلمة القابعة في داخلهم تنتقل معهم إلى ساحة القيامة، فيتحركون في حالة عجيبة من التخبط والحيرة، ولا سيما عندما يرون المؤمنين والمؤمنات في بحار النور التي يسبحون فيها، فيستجدون منهم شيئاً من ذلك النور لعلهم يلحقون بهم، ولكن المؤمنين والمؤمنات يتابعون سيرهم، فلا يتوقفون أمام هذا الترجي والاستعطف، لأن المسألة هي مسألة التعليمات الإلهية في ما يفعلون ويتركون.

ثم يأتي الخطاب إلى المنافقين - استهزاءً بهم -: ارجعوا وراءكم، إلى الدنيا أو إلى حيث يوزع النور على الخلق، إن استطعتم، ولن تستطيعوا.. فجعل بينهم وبين المؤمنين حاجز له باب يفصل بينهم، فالمؤمنون يدخلون عبر الباب إلى حيث الحياة الطيبة وإلى رحمة الله، وأما المنافقون فيبقون خارجه ليدوقوا العذاب.

أهل النفاق ينادون المؤمنين

وتستمر الآيات في تصوير الموقف، فها هم المنافقون يستجدون عطف المؤمنين: ألم نكن معكم في الدنيا، في البيت الواحد، أو المنطقة الواحدة، فكيف اختلف حالنا عن حالكم، ومصيرنا عن مصيركم؟ ويأتيهم الرد: لقد عشتُم الفتنة التي سقطتم فيها ودفعتمكم إلى الانحراف والسعي لإيذاء المؤمنين ومواجهة رسالة الإسلام، وعشتُم الريب فلم تخرجوا من ظلمة الشك إلى نور اليقين، وتحيلتم أنكم تعلمون مصيركم وتسيطرون على الموقف، حتى أتاكم الموت الذي كشف لكم الحقيقة، وعرفتم عندها أن الشيطان قد خدعكم، وأن أنفسكم قد غشّتكم.

ولن تستطيعوا أنتم - ولا أولئك الكفار - أن تحصلوا على الخلاص بأي ثمن، ومصيركم المحتوم ليس سوى النار، وأي مصير أكثر بؤساً وشقلاً من هذا المصير الذي تتحولون فيه إلى حطبٍ يحترق ويتحول إلى رمادٍ.



خشوع قلوب المؤمنين لذكر الله

قد يتجمد الإيمان عند الإنسان المسلم بفعل عامل الزمن ورتابة الأمور، فيتحول إلى مجموعة أفكار لا حياة فيها، أو قد يزحف إليه الباطل فيخشع له، أو قد يتحجر قلبه فلا يخشع لذكر الله.. لذا جاء الخطاء الإلهي ليعالج المسألة خوفاً من الوقوع فيما وقع فيه أهل الكتاب حين عاشوا نفس التجربة فقتت قلوبهم وانحرف كثير منه.

أيها المؤمنون: أنتم بحاجة إلى هزة روحية، لتعيشوا مجدداً في أجواء عظمة الله وأسرار قدرته، وتستغرقوا في مواضع نعمه، وتفكروا فيما أنزله على نبيه. إن الله يريد بذلك أن يحيي عقولكم وقلوبكم، كما يحيي الأرض بعد موتها.

ماذا نستفيد من هذا الدرس؟



١. يفيض نور المؤمنين يوم القيامة لأنهم اختاروا طريق النور في الدنيا، فيهديهم ذلك النور إلى حيث رحمة الله في الآخرة.
٢. المنافقون يبحثون عن النور ويطلبونه من المؤمنين ليتبعوهم، فلا يجدون إلى ذلك سبيلاً، لأنهم رفضوا طريق النور والهداية في الحياة الدنيا وسعوا لتدميره.
٣. النار هي مصير المنافقين والكفار، وما أسوأ هذا المصير.
٤. المؤمنون بحاجة إلى هزة روحية لئلا تقسو قلوبهم وينحرفوا عن جادة الشريعة كما حصل لأهل الكتاب.

أسئلة حول الدرس

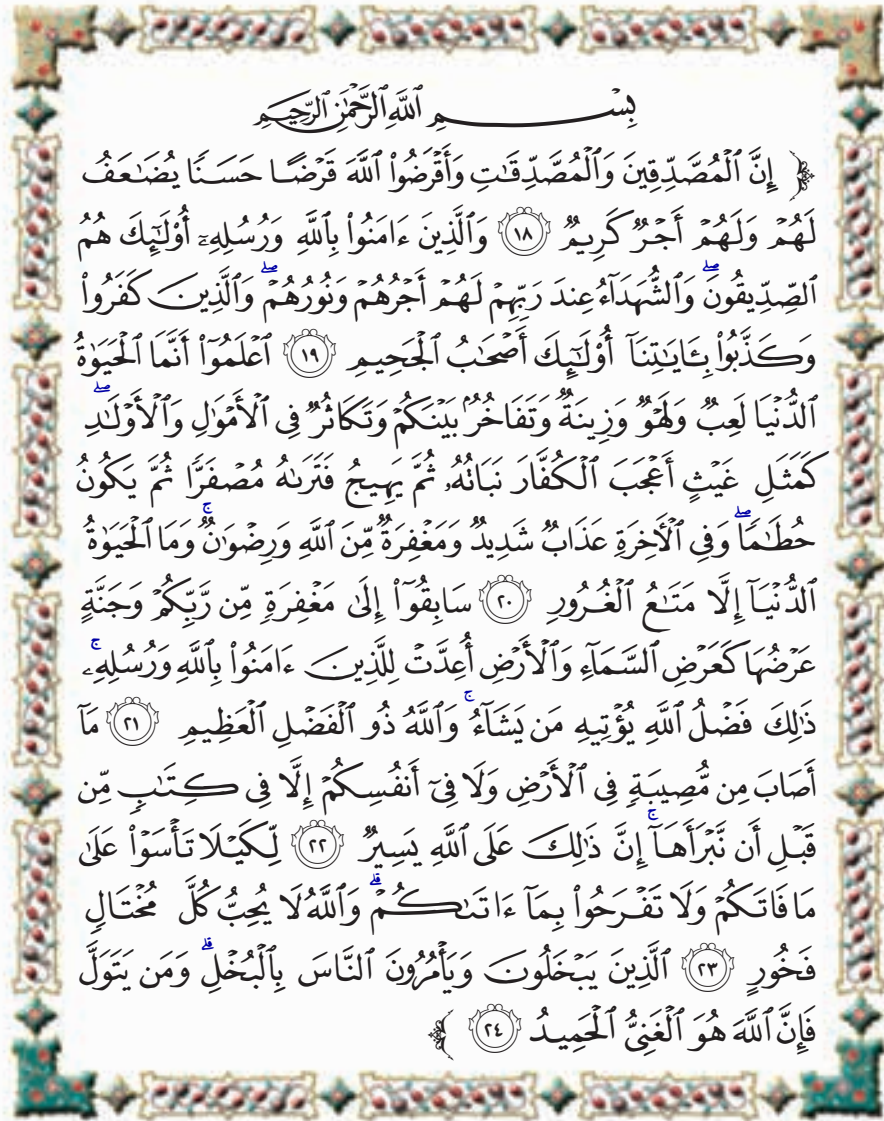
- اكتب بأسلوبك الخاص وبشكل جدول مقارنة بين حال المؤمنين والمنافقين يوم القيامة.

اللوحة للفنان شاندينز.

سورة الحديد - ٤

شرح المفردات

لَعِبَ: عمل منظوم لغرض خيالي.
لَهُوَ: ما يشغل عن العمل.
غَيْثٌ: مطر.
الكفار: هنا بمعنى المزارعين.
يَهِيْجُ: يتحرك.
خُطَامًا: هشيماً متكسراً
من يابس النبات.
مَتَاعٌ: انتفاع ممتد الوقت.
مَصِيبَةٌ: الواقعة التي تصيب الشيء.
مُخْتَالٌ: متكبر تخيل نفسه فضيلة.
فَخُورٌ: كثير المباهاة والفخر.



الصادقون والشهداء

تُقدم الآيات نموذجاً من المؤمنين الذين يقرنون إيمانهم بالعمل الصالح، فهؤلاء لا يعيشون البخل في العطاء، بل يتصدقون - رجالاً ونساءً - لذا فإن الله تعالى يضاعف لهم الرزق والعطاء في الدنيا ويمنحهم الثواب السخي في الآخرة.

ثم يمتدح الله تعالى المؤمنين حقاً حيث يكون الإيمان عندهم: فكر يوحى بالسمو، وشعور ينبض بالطهر، وحركة تتميز بالجدية والخير والعطاء، فاعتبر أنهم:

- ١- الصّديقون: لأنهم يعيشون الصدق في حياتهم، فالإيمان الحقيقي هو الإيمان المقرون بالعمل الصالح.
 - ٢- الشهداء: فيشهدون على الناس والحياة من حولهم، لأنهم يمتلكون من الوعي والبصيرة وصدق الموقف والإحساس بالمسئولية ما يؤهلهم لأن يشهدوا عند ربهم.
 - وهؤلاء لهم أجر من عند الله جزاءً على ما قدموه من إيمانٍ وعمل، ولهم نورهم الذي يهتدون به في الدنيا، ويستدلون من خلاله طريق الجنة في الآخرة.
 - أما الكافرون المكذبون بآيات الله التي أنزلها على رسله فمصيرهم الجحيم ليعيشوا فيها أبداً وليكونوا من أصحابها الخالدين، لأنهم جحدوا وتمردوا وعاشوا في ضلال الفكر والعمل.
- ### الحياة الدنيا متاع الغرور

أيها الناس، كيف تستسلمون لهذه الحياة الدنيا، فتعبرونها غاية طموحكم الذي تعيشون له؟ والحال أنكم إذا حدّقتُم في كثير من أعمالكم وحركاتكم، رأيتموها لا تحمل معنًى عميقاً مفيداً إلا ما يحمله اللعب الذي يمارسه الصغار فتشغل وقتهم وترهق جسدَهم، وما تثيره الأجواء اللاهية التي تشغل الإنسان عن عمله، وما تتطلبه الغريزة بحثاً عن طعام أو تلبيةً لحب التملك والتفاخر بالأموال والأولاد. فهل سيبقى لكم كل ذلك؟ إن الجواب يكمن في ما تمثله الصورة التالية التي طالما عايشتموها في حياتكم:

انظروا إلى المطر عندما يتساقط بغزارة فيمنح الأرض الري والحياة، وتنمو البذرة في داخلها لتزدهر وتتحوّل إلى زرع أخضر يبعث البهجة في نفوس الزرّاع، ولكن هل سيستمر النبات على هذا الحال؟ كلا.. إذ تبدأ الخضرة في التبدل لحالة الشحوب والذبول والصفرة التي توحى بالموت بعد أن بدأت الحياة تجف من أوراقه، ثم يصير النبات حطاماً عندما يتحوّل إلى ورقٍ يابسٍ متكسّرٍ، ليكون هشيماً تذروه الرياح، فلا يبقى منه شيء للنظر أو للانتفاع الغذائي أو نحو ذلك.

وهكذا هي حال الدنيا حيث تنتهي بكل ما فيها من زينةٍ وهوٍ ولعبٍ وتفاخرٍ وتكاثرٍ، لينتهي الإنسان معها إلى جسدٍ ميتٍ تتحلل أجزاؤه وتتناثر أعضاؤه حتى تتحوّل إلى عظامٍ نخرة، ويعود تراباً كما كان. ولا يبقى من الإنسان إلا العمل الصالح الذي يؤدي به إلى مغفرة الله ورضوانه، أو العمل السيئ الذي ينتهي به إلى عذاب الله. فإياكم أن تنخدعوا بمظهر الدنيا الجذاب وتنشغلوا بزینتها التي لا تدوم عن آخرتكم التي هي حياتكم الحقيقية.

التسابق إلى مغفرة الله

أيها الناس، اسعوا وسابقوا إلى مغفرة من ربكم لتحصلوا على محبته ورضوانه لثلا تضيع منكم فرصة الحصول على جنة الله الواسعة المعدة للمؤمنين الصالحين، ولا حد لفضل الله الذي يتسع للوجود كله من خلال سعة رحمته.

ما أصاب من مصيبة إلا في كتاب

للحياة نظامها المتوازن الخاص في حركة النظام الكوني وفي واقع الإنسان، على مستوى الفرد والجماعة، فكل ظاهرة سببها، ولكل موجودٍ قانونه الخاص. وإذا كان الأمر كذلك، فلا بد من أن يخضع الإنسان كل أوضاعه وأفعاله للتقدير الإلهي الذي يقدر لكل شيء حركة وجوده من خلال علاقة المسببات بأسبابها. وهكذا هي المصائب التي نعيشها في أحداث الحياة، فتثير الآلام وتربك المشاعر، فهي مقدرة في علم الله قبل وجود الأشياء، لأنه هو الذي يمنحها الوجود، فيحيط بها في كل أسرارها وأوضاعها، إن ذلك على الله يسير. وإذا كانت الأمور بهذه الصورة، فمن المفترض بالمؤمنين أن لا يعيشوا السقوط تحت وطأة الحزن المدمر، أو البطر تحت تأثير الفرح الطاغي، عندما تحدث الخسارة أو عندما يأتي الربح، بل لا بد من الاتزان الذي يحفظ للمؤمن عدم السقوط في مهاوي المعصية بالطغيان والاستكبار، أو بالبخل الناتج عن عدم الثقة بالله سبحانه وبما وعد به المحسنين من عباده بتعويضهم في الدنيا عما أنفقوه وزيادة، وبالثواب الجزيل الذي يُنلج صدورهم. وأسوأ من ذلك أن يعمل البخيل على تثبيط همم المحسنين وتشكيكهم في رحمة الله ووعدده. إن الذين يُعرضون عن النهج الذي وضعه الله للناس في القيام بالمسؤولية في دائرة العطاء، فلن يضرروا الله شيئاً، ولن يضرروا الحياة في نظامها شيئاً، لأن الله سوف يستبدل بهم قوماً غيرهم، فهو الذي يسخر من يشاء لمن يشاء، وليس بحاجة إلى أحدٍ من خلقه.

ماذا نستفيد من هذا الدرس؟

١. العطاء الجزيل في الدنيا والثواب العظيم في الآخرة ينتظر المتصدقين والمتصدقات.
٢. المؤمن لا يستسلم إلى هذه الحياة الدنيا ومظاهرها الخداعة لأنه يعلم أنها غير باقية.
٣. حال الإنسان في الدنيا كحال النبات الذي تنبعث في الحياة بنزول المطر فيخضر ويزهو ويثمر ثم يبدأ بلذبول ليتحول إلى حطام.
٤. للحياة نظامها المتوازن، فكل شيء بيد الله، والأمور مقدرة وفق الأسباب، والله يعلم كل ما يتعلق بها، وقبل أن يخلقها.
٥. على المؤمن أن لا يفقد اتزانه الإيماني والسلوكي في المصائب، لأن ثقته بالله كبيرة.

أسئلة حول الدرس

- اكتب صفات المؤمنين كما استفدتها من الآيات السابقة.

سورة الحديد - ٥

شرح المفردات

بالبينات: الآيات الواضحات.
الميزان: ما يوزن به.
بأس: البأس هو الشدة في التأثير.



هدف الرسالات قيام الناس بالقسط

هل تقتصر مهمة الأنبياء على القضايا الروحية المتمثلة في علاقة الإنسان بربه من خلال الصلاة مثلاً؟ لا بل هي مهمة حياتية شاملة تمتد إلى كل جوانب حياة الإنسان ليرتبط الجانب الروحي بالجانب المادي، ولتؤثر الصلاة في الإنسان ليكون عادلاً في سلوكه، متوازناً في مواقفه وعلاقاته مع الناس، من خلال تطبيق شريعة الله التي تنظم له حياته.

ولذا نقول أن مسألة الحكم والتشريع هي مسألة أساسية في كل دين، وأن السياسة مندمجة في حركة الدين وانطلاقه في آفاق الحكم، رداً على الذين يعتبرون الدين حالة روحية فردية في علاقة الإنسان بربه.

بأس الحديد ومنافعه

ولكي تدار قضايا الحرب والسلم، ول يتم تنفيذ القانون ومعاقبة المفسد، ول يمتلك الناس قوةً تمنع الظالمين من فرض سيطرتهم على الواقع لابد من السلاح، والذي يمثّل الحديد العنصر الأساس فيه، كما أنه يمثّل العنصر الأساس في صنع الحضارة، ولذا ذكره الله سبحانه امتناناً منه على عباده وتذكيراً بنعمه وتفضّه.

وليس الله بحاجة إلى الناس لينصروه وينصروا رسله عندما يأمرهم بالقتال، فالله عزيز قوي، ولكنه يريد أن يختبرهم في مواطن الشدة، كما يريد أن يمتحن استخدامهم للسلاح، وهل سيدفعهم امتلاكهم له إلى الطغيان والعدوان؟

مسيرة الأنبياء وذريتهم

أرسل الله تعالى نوحاً عليه السلام الذي يمثّل الأبوة الثانية للبشرية، وكانت له حركته الرسالية الفريدة في طبيعتها وصبرها الممتد مع القرون، ثم أرسل الله سبحانه الخليل إبراهيم عليه السلام، وجعل النبوة ممتدة في ذريته، ولكن ذريتهما التي احتوت النبوات وحملت الكتاب لم تستقم على هذا الخط بجميع أفرادها، بل اختلفت في ذلك، فمنهم من اهتدى واستقام، ومنهم من انحرف وخرج عن طاعة ربه.

واستمرت النبوة التي انتشرت بين أمم مختلفة وبلاد شتى، فبلغ الأنبياء رسالات الله من خلال ما أنزله الله إليهم من كتب، ومن خلال ما أكدوه من الكتب المنزلة على غيرهم من الأنبياء أولي العزم، حتى بعث الله المسيح عيسى بن مريم عليهما السلام، والذي كان آيةً في خلقه، كما كان نموذجاً مميزاً في حياته ورسالته، فأرسله بالإنجيل الذي أراد الله أن يمثّل قاعدةً للقيم الروحية المنطلقة من قاعدة الحبة الإنسانية الداعية إلى العفو والتسامح والخير الشامل الذي يلتقي بالرفقة والرحمة في امتداداتهما الشعورية في حياة الإنسان.

رهبانية ابتدعوها

إلا أن بعضاً من أتباع السيد المسيح عاشوا معاني التأمل والتفكير في الله، واندمجوا بالعبادة الخاشعة، واستغرقوا في ذلك كله حتى تحولت لديهم إلى حالةٍ من العزلة والانقطاع عن الناس، ليتفرغوا إلى الغاية العظيمة وهي الحصول على رضا الله والوصول إلى أعلى مراتب القرب لديه، فكانت الرهبانية نتيجةً لذلك نوعاً من البدعة، إذ لم تكن فرضاً من الله عليهم، ولم تنزل كشرعية عبادة.



والمشكلة أنها تحولت لاحقاً إلى طقوس وعادات وشعائر خالية من الروح، وابتعدت عن التوازن في الجانب الواقعي العملي في حاجات الإنسان الخاصة، لأن الإنسان الذي يريد رضا الله لا بد له من أن يعرف الطريق إليه، فلا يبتدعه من نفسه إلا من خلال ما يقتنع به من حدود الله في ذلك، لأنه سوف يبتعد عن الطريق الحق نحو رضوان الله. فمن كان جاداً مخلصاً في الالتزام بالنتائج العملية التي يفرضها الإيمان على المؤمني، أعطاه الله أجره، إلا أن كثيراً منهم لم يلتزموا بذلك، فلن ينالوا ثوابه لأنهم فاسقون خارجون عن طاعته، فالله سبحانه لا ينظر إلى جانب السطح في الشكل، بل إلى جانب العمق في المضمون.

اتقوا الله

إن على المؤمنين كي يحافظوا على إيمانهم واستقامتهم في الدين أن يعيشوا التقوى والمراقبة لأفكارهم ومشاعرهم وأعمالهم، وأن يسلّموا أمرهم إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم في ثقة عميقة ممتدة، لينالوا بذلك نصيبين من رحمته، وليمتلكوا - في الدنيا - الوعي والبصيرة، وفي الآخرة النور الذي يدهمهم على الطريق إلى الجنة، وليغفر الله لهم ذنوبهم والله غفور رحيم.

وليعلم أهل الكتاب أنهم لا ينتفعون بإيمانهم ولا يحصلون على شيء من الفضل الإلهي، ما داموا قد أنكروا نبوة محمد صلى الله عليه وآله وسلم، فالعطاء والثواب بيد الله يؤتيه من يشاء من مواقع لطفه ورحمته.

ماذا نستفيد من هذا الدرس ؟

١. مهمة الأنبياء مهمة حياتية شاملة تمتد إلى كل جوانب حياة الإنسان
٢. مسألة الحكم والتشريع هي مسألة أساسية في كل دين، وأن السياسة مندمجة في حركة الدين.
٣. ليس الله بحاجة إلى الناس لينصروه عندما يأمرهم بالقتال، ولكنه يريد أن يختبره بذلك.
٤. استمرت النبوة في ذرية نوح وإبراهيم، وأرسل الله النبي عيسى بالإنجيل ليقدم للناس القيم الروحية.
٥. ابتدع بعض أتباع المسيح الرهبانية انطلاقاً من رغبتهم في العبادة، فتطرف بعضهم فيها، وانحرف فيها آخرون.
٦. المؤمنون بحاجة إلى المراقبة الذاتية، والله يعدمهم من فضله في الدنيا والآخرة.

أسئلة حول الدرس

- ابحث بجهدك الخاص عن السبب وراء تركيز النبي عيسى عليه السلام والإنجيل على الجوانب القيمية والروحية أكثر من سائر القضايا.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

العقائد

تهمة الاعتقاد بتحريف القرآن

كيف نتعامل مع القائلين بتحريف القرآن من الشيعة (مثال: الشيخ حسين النورى في كتابه فصل الخطاب)؟

نحن لا نتحاشى الاعتراف بوجود روايات قد تنم عن تحريف الكتاب في الجوامع الحديثية عند الشيعة الإمامية، كما في الجوامع الحديثية عند أبناء السنة، غير أن وجود مثل هذه الروايات الشاذة في كتب الحديث لا يعبر عن شيء من عقيدة صاحب الكتاب، فضلاً عن المذهب الذي ينتمي إليه صاحب الكتاب، لأن نقل الحديث لا ينم عن عقيدة ناقله، ولا سيما إذا كان له تأويل وجيه، كما هي الحالة في الأحاديث المنقولة عن كتب علمائنا المعتمدين، مما ظن دلالتها على التحريف، أما النظر الدقيق فيها فيأبى هذا الاحتمال.

على سبيل المثال: نسبوا إلى الشيخ الكليني أنه ممن يقول بالتحريف لنقله روايات قد يحسب القارئ لأول وهلة دلالتها على التحريف، كالروايات التي جاءت تحت باب (أن علم القرآن كله ظاهره وباطنه عند الأئمة من أهل البيت عليهم السلام). ويحتوى هذا الباب على ست روايات: الثانية والثالثة والرابعة والخامسة من هذه الروايات ضعيفة السند، والأولى مختلف فيها، وأما الأخيرة فحسنة، حسب مصطلحهم في علم الحديث. وأما بالنسبة لأحاديث هذا الباب فهي كالتالي:

١- جاء في الحديث الأول: عن الباقر عليه السلام قال: (ما ادعى أحد من الناس أنه جمع القرآن كله كما أنزل إلا كذاب، وما جمعه وحفظه كما نزله الله تعالى إلا علي بن أبي طالب عليه السلام والأئمة من بعده عليهم السلام). أقول: هذا الجمع إشارة إلى مصحف علي عليه السلام حيث جمعه على ترتيب النزول، وكتب في حواشيه نصوصاً في أسباب النزول مع شيء من التفسير. ومن ثم قال محمد بن جزي الكلبي: (ولو وجد مصحفه لكان فيه علم كبير).

٢- وفي الحديث الثاني أوضح هذا المعنى، حيث قال الباقر عليه السلام: (ما يستطيع أحد أن يدعي أن عنده جميع القرآن كله ظاهره وباطنه، غير الأوصياء).

٣- وفي الحديث الثالث: قال الباقر عليه السلام: (إن من علم ما أوتينا: تفسير القرآن وأحكامه).

٤- وفي الحديث الرابع: قال الصادق عليه السلام: (إني لأعلم كتاب الله من أوله إلى آخره كأنه في كفي).

٥- وفي الحديث الخامس: قال الصادق عليه السلام: (وعندنا والله علم الكتاب كله).

٦- وفي الحديث السادس: عند تفسير قوله تعالى: (وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ) قال الباقر عليه السلام: (إيانا عنى).

هذه هي كل أحاديث الباب التي رواها الكليني عن الإمامين الباقر والصادق عليهما السلام للدلالة على أن علم القرآن كله عند الأئمة لا يدانيهم في ذلك غيرهم إطلاقاً. فهل ترى فيها أي دلالة على وقوع تحريف

في القرآن، كما حسبه الشيخ النوري ومن قال بقوله؟! فما قدمناه من روايات تشتمل على أن علم القرآن كله ظاهره وباطنه عند الأئمة من أهل البيت عليهم السلام، وهذا المعنى لا يمس مسألة التحريف في شيء. نعم أخرج الكليني بعض الروايات التي تحتاج إلى تفسير، وربما ظن البعض أنها تدل على ثبوت التحريف، ومن هذه الروايات:

١- ما جاء في آخر باب النوادر من كتاب فضل القرآن، بإسناده إلى هشام بن سالم، أو هارون بن مسلم، كما في بعض النسخ، عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال: (إن القرآن الذي جاء به جبرائيل إلى محمد صلى الله عليه وآله وسلم سبعة عشرة ألف آية). وهذا الحديث بهذه الصورة نادر غريب، لأن آيات القرآن لا تبلغ سبعة آلاف آية فكيف بسبعة عشرة ألفاً؟! من ثم وقع شراح الكافي في مشكلة العلاج! وقد جزم الشيخ أبو الحسن الشعراني في تعليقه على شرح الكافي للمولى صالح المازندراني، بأن لفظة (عشر) من زيادة الناسخ أو الرواة، والأصل: سبعة آلاف، عدداً تقريبياً ينطبق مع الواقع نوعاً ما. هذا مع العلم بأن كتابة الألف والآلاف - في القديم - كانت متقاربة بالألف.

والدليل على صحة ما ذكره الشعراني ما جاء في كتاب الوافي للمولى محسن الفيض الكاشاني، وقد وضع كتابه على جمع أحاديث الكتب الأربعة: الكافي والفقيه والتهذيب والاستبصار، وقد نقل نفس الحديث عن الكافي بلفظ (سبعة آلاف آية) من غير ترديد، الأمر الذي يدل على أن نسخته كانت على ذلك من غير شك. وقد اعترف الميرزا النوري أيضاً باختلاف النسخة، وأن بعض النسخ من الكافي تشتمل على (سبعة آلاف). وعلى أي تقدير، فالنسخة المشتملة على رقم سبعة عشر ألفاً غلط بلا ريب.

وهذا نظير ما روي عن عمر بن الخطاب، كان يزعم أن عدد حروف القرآن أكثر من مليون حرف. فقد أخرج الطبراني بإسناده عن طريق محمد بن عبيد آدم عن عمر أنه قال: (القرآن ألف ألف حرف وسبعة وعشرون ألف حرف - ١٠٢٧٠٠٠ - فمن قرأه صابراً محتسباً، كان له بكل حرف زوجة من الحور العين).

في حين أن حروف القرآن بالضبط، وفق المأثور عن ابن عباس، ثلاثمائة وثلاثة وعشرون ألف وستمائة وواحد وسبعون حرفاً (٣٣٣٦٧١) وهو ثلث المأثور عن عمر، فيا ترى بماذا يواجه أبناء السنة هذا العدد الضخم المبالغ فيه من حروف القرآن، مأثوراً عن مثل الخليفة عمر بن الخطاب؟! وهل له محمل سوى اشتباه أو خلط في الرواية أو النقل؟ وهكذا الأمر فيما روي عن بعض نسخ الكافي حسبما تكلمنا فيه.

٢- التفاسير المدرجة ضمن تلاوة الآية، كما كان عليه السلف الصالح، وهو كثير مأثور عن ابن مسعود وأبي ابن كعب وغيرهما من كبار الصحابة، وهكذا عن الأئمة الأطهار عليهم السلام.

مثلاً: قول الإمام الصادق عليه السلام: (في قول الله عز وجل "ومن يطع الله ورسوله" في ولاية علي وولاية الأئمة من بعده "فقد فاز فوزاً عظيماً" هكذا نزلت). وقوله: هكذا نزلت، قال شراح الحديث: أي بهذا المعنى.

آراء العلماء:

رفض علماءنا - إلا من شذَّ عنهم - احتمال التحريف في كتاب الله الذي (لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد). وهذا سرد بأسماء بعض من صرح بنفي التحريف وكان من أعلام الطائفة بالذات:

- ١- الشيخ محمد بن علي بن الحسين الصدوق (ت: ٣١٨هـ) فقد عد رفض التحريف من ضرورات المذهب الاعتقادية للشيعة.
- ٢- الشيخ محمد بن محمد بن محمد بن النعمان المفيد (ت: ٤١٣هـ)، صرح بذلك في كتابه (أوائل المقالات)، وبيّنه بالتفصيل في أجوبة المسائل السروية.
- ٣- الشريف المرتضى علم الهدى علي بن الحسين (ت: ٤٣٦هـ) أكّد القول في ذلك وشنّع على القائلين بالتحريف من الحشوية والإخبارية، في أجوبة المسائل الطرابلسيات.
- ٤- شيخ الطائفة أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي (ت: ٤٦٠هـ) حيث عدّ احتمال شبهة التحريف واهياً مجمعاً على بطلانه.
- ٥- جمال الدين أبو منصور الحسن بن يوسف، ابن المطهر الحلي (ت: ٧٢٦هـ). جعل القول بالتحريف متنافياً مع ضرورة تواتر القرآن بين المسلمين.
- ٦- الشيخ جعفر الكبير كاشف الغطاء (ت: ١٢٢٨هـ) حيث جعله من ضرورة المذهب بل الدين وإجماع المسلمين وأخبار النبي والأئمة الطاهرين.
- ٧- الشيخ محمد الجواد الحجة البلاغي (ت: ١٣٥٢هـ)، شيخ أهل التفسير والتحقيق في العصر الأخير، والذي برأ ساحة الشيعة الإمامية من هذه التهمة بكل جد وصرامة تحقيق.
- ٨- العلامة الطباطبائي صاحب تفسير الميزان (ت: ١٤٠٢هـ) له بحث واف بإثبات صيانة القرآن من التحريف.
- ٩- الإمام الراحل الخميني (ت: ١٤٠٩هـ) في تقريراته الأصولية.
- ١٠- السيد أبوالقاسم الخوئي (ت: ١٤١٣هـ) في كتابه البيان.

* مقتبس بتصرف من كتاب مطارحات للشيخ حسين المصطفى.

فلسفة الكوارث والآفات

منذ القديم كان فريق من الجهال يعترضون على عدالة الله، ويوردون حالات يعتقدون أنها لا تنسجم مع عدالة الله، بل إنهم لم يكتفوا بنفي عدالة الله حتى اتخذوها ذريعة للدلالة على عدم وجود الله ذاته! من تلك الحالات التي يستدلون بها على ذلك هي العواصف المدمرة والزلازل والكوارث الطبيعية الأخرى. وكذلك الاختلافات الموجودة بين الأفراد، ووجود الآفات التي تصيب الإنسان والنبات وسائر الكائنات في عالم الوجود. ولتوضيح المسألة نطرح النقاط التالية:

إننا نستند عادة في إصدار أحكامنا وتمييز المصاديق: على مدى ارتباطنا بالأشياء، كقولنا أن الشيء الفلاني قريب أو بعيد، بالنسبة لموقعنا نحن، أو نقول أن فلاناً ضعيف أو قوي بالقياس إلى حالتنا النفسية أو الجسمية. كذلك هي حال أغلب الناس عند إصدار أحكامهم على القضايا الخاصة بالخير والشر والكوارث والآفات. فمثلاً، إذا نزل المطر في منطقة، فليس يعنينا تأثيره في المجموع العام، ولا تتعدى نظرتنا محيط حياتنا وبيتنا ومزرعتنا أو مدينتنا في الحد الأقصى، فإذا كان لهذا المطر تأثير إيجابي قلنا إنه نعمة من الله، وإذا كان تأثيره سلبياً، اعتبرناه بلاءً. وعندما يهدمون عمارة توشك على الانهيار لإعادة بنائها، ولا يكون نصيبنا من ذلك سوى الغبار أثله مرورنا بالمكان، نقول: ما أسوأ هذا! على الرغم من أن المستقبل القريب سوف يشهد بناء مستشفى حديث على أنقاض العمارة المتهدمة ويستفيد منه الناس.

إننا في أحكامنا السطحية نعتبر لسعة الحية شراً، بغير أن نعلم أن هذه اللسعة وما فيها من سم إنما هي وسيلة دفاع في هذا الحيوان، وإن هذا السم نفسه يصنع منه دواء شاف قد ينقذ حياة الآلاف من بني البشر. وعليه، إذا أردنا تحري الدقة وعدم الوقوع في شرك الخطأ فعلينا أن نلقي نظرة على معلوماتنا المحدودة لكيلا نقيم أحكامنا على مجرد العلاقات التي تربط الأشياء بنا، بل ينبغي أن ننظر إلى الأمر من جميع الجوانب بحيث تكون أحكامنا جامعة شاملة.

إن جميع حوادث العالم، من حيث الأساس، أشبه بسلسلة مترابطة الحلقات. فالعاصفة التي تهب اليوم في مدينتنا، والأمطار الغزيرة التي تهطل، حلقات في السلسلة المديدة التي ترتبط بحوادث تجري في مناطق أخرى، وكذلك ترتبط بحوادث جرت في الماضي وأخرى سوف تجري في المستقبل.

وعليه، فإن النظر إلى نقطة صغيرة وإصدار حكم حاسم بشأنها بعيد عن العقل والمنطق. إن بعض أفعال الناس يمكن اعتبارها شراً مطلقاً، ولكن إذا كان الأمر من جهة خيراً ومن جهة شراً مع الغلبة للخير كالعملية الجراحية المؤلمة من جهة والمفيدة من جهات أخرى، فإنه سيعتبر خيراً نسبياً.

ونعود إلى مثال الزلازل: صحيح أنها تؤدي إلى الدمار في مكان معين، ولكننا إذا أخذنا بنظر الاعتبار علائق هذه الظاهرة المتسلسلة بأمور أخرى في الطبيعة لتغير حكمنا. فحرارة باطن الأرض لو لم يتم التنفيس عنها

بالزلازل والبراكين لأدى ذلك إلى انفجار الكرة الأرضية. علماً بأن الحرارة العالية لباطن الأرض تؤثر في تكوين منابع النفط الذي يعتبر من أهم مصادر الطاقة في عصرنا، وكذلك في تكوين الفحم الحجري و أمثالهما. وعليه فإن حرارة باطن الأرض خير نسيبي.

الحقيقة الماثلة أمامنا تتلخص في أنه: كلما تعمقنا في التأمل و التفكير في العلائق التي تربط هذه الحوادث ببعض أدركنا أهميتها، ولا ينبغي لنا بعلمنا القليل هذا أن نتعجل إصدار الأحكام. يقول لنا القرآن المجيد: (وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا) الإسراء: ٨٥. إننا جميعاً نعرف أشخاصاً عندما غرقوا في نعمة ركبهم الغرور وحب الذات فسوا - وهم في هذه الحالة - الكثير من واجباتهم الإنسانية. كما إننا جميعاً نعرف أشخاصاً إذا كانوا متنعمين بالراحة والدعة وسارت بهم الأمور على وتيرة واحدة من الهدوء والاستقرار، انتابتهم حالة من السبات والغفلة، و هي حالة إن دامت عندهم أدت إلى تعاستهم وشقائهم، ولا شك أن بعض الحوادث المنغصة هدفها وضع حد لتلك الحالة من الغرور وإيقاظ الإنسان من سبات غفلته.

لابد أنكم سمعتم بأن سائقي السيارات في الطرق الطويلة يشكون من الطرق الممهدة الصافية المستقيمة قائلين أن هذه الطرق خطيرة، وذلك لأن رتابتها تحمل السائق على الشعور بالنعاس وفي هذه الحالة يكمن الخطر. ولذلك يلجأ المهندسون لاصطناع الانحناءات والمرتفعات والمنخفضات للحيولة دون وقوع السائقين في مثل تلك الحالات. إن خطر مسار الحياة لا يختلف عن ذلك. فإذا خلت الحياة من المنعطفات والالتواءات والمنخفضات، وإذا لم يعتورها أحياناً بعض المنغصات، استولت على الإنسان تلك الحالة من نسيان الله والغفلة عن ذكره وعن القيام بالواجبات الملقة على عاتقه. ولا نقول طبعاً أن على الإنسان أن يصطنع لنفسه الحوادث المنغصة وأن يبحث عن الأحزان، وذلك لأن أمثال هذه الحوادث موجودة دائماً في حياة الإنسان. ولكننا نريد التذكير بأن الحكمة في هذه الحوادث أحياناً هي الوقوف بوجه الغرور والغفلة والنسيان المعادية لسعادة الإنسان. قال تعالى: (فَأَخَذْنَاهُمْ بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَاءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ) الأنعام: ٤٢.

ونضيف إلى ذلك أن كثيراً ما تكون الحوادث الصعبة والمفجعة سبباً في تقوية إرادتنا وزيادة قدرتنا على التحمل، كالفلواذ الذي يدخلونه النار الحامية فيزداد قوة وصلابة. إننا ندخل أتون هذه الحوادث لنخرج أكثر تجربة وأصلب عوداً. فالحرب حدث سيء ولكن ربّ حرب ضروس طويلة الأمد كشفت عن مواهب الشعب الكامنة، وأبدلت تشنته وحدة، وأسرعت في سد مواطن الخلل فيه.

ولو أنك درست سيرة نوابغ العالم لرأيت أنهم في الأغلب قد كبروا وترعرعوا في خضم المشكلات والمصاعب، وقلما تجد بين المتنعمين المرفهين من أظهر شيئاً من النبوغ في حياته ووصل إلى مراكز رفيعة قال تعالى: (فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا) النساء: ١٩.

* مقتبس بتصرف من كتاب دروس في العقائد الإسلامية: آية الله العظمى مكارم الشيرازي.

بحوث في الإمامة - ١

هل البحث في هذا الموضوع يثير الخلاف؟

البعض من الناس ما إن يطرق سمعهم الكلام حول الإمامة حتى ينبرون فوراً قائلين إنَّ الظرف اليوم لا يسمح بذلك. فالיום هو يوم وحدة المسلمين، بينما الكلام عن خليفة الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم سيكون مدعاة للتفرقة وتشتت الكلمة، أو أنَّ لنا اليوم أعداء مشتركين يجب أن نوجه اهتمامنا إليهم، وعليه يجب أن نتجنب المسائل المختلف فيها.

غير أنَّ هذا النموذج من التفكير خطأ محض، للأسباب التالية:

أولاً: إنَّ ما يسبب الخلاف والتشتت يدخل ضمن البحوث غير المنطقية المثيرة للأحقاد. أمَّا البحث المنطقي الاستدلالي البعيد عن التعصب واللجاجة والخصام، والذي يجري في جو من الود الحميم، فإنه فضلاً عن كونه لا يسبب التفرقة فإنه يقلل مسافة الانفصال ويقوي نقاط الالتقاء المشتركة.

قال آية الله العظمى مكارم الشيرازي حفظه الله: (إنَّني في سفراتي المتكررة لزيارة بيت الله الحرام بمكة، ومن مباحثاتي مع علماء أهل السنة، كنت أحس، كما كانوا هم أيضاً يحسون، بأنَّ هذه المباحثات فضلاً عن كونها ليس لها أي أثر سيء على علاقتنا، فإنَّها تبعث على التفاهم وحسن الظن، والتقارب وإزالة ما قد يكون في بعض الصدور من ضغينة. المهم أنَّ هذه البحوث تنير الكثير من نقاط الالتقاء فيما بيننا، ممَّا يمكن لنا أن نستند إليها في مواجهة أعداءنا المشتركين).

ثانياً: إنَّنا - كأتباع لمدرسة أهل البيت عليهم السلام - نعتقد أنَّ الإسلام قد تبلور في المذهب الشيعي الإمامي أكثر من أي مذهب آخر. وفي الوقت الذي يحترم مذهب الشيعة المذاهب الإسلامية الأخرى، فإنَّنا نعتقد أنَّ المذهب الإمامي أقدر على تعريف الإسلام الصادق بجميع أبعاده، وعلى حلِّ القضايا الفكرية والقرآنية والفقهية وغيرها. فلماذا لا نعلم أبناءنا هذا المذهب؟ إنَّنا على يقين تام بأنَّ النَّبي صلى الله عليه وآله وسلم قد عينَ خليفته من بعده، فما الذي يحول دون تتبع هذا الموضوع على هدى الاستدلال والمنطق؟ لاسيما مع التزامنا بأنَّ نحذر كي لا نجرح مشاعر الآخرين المذهبية.

ثالثاً: إنَّ أعداء الإسلام، لكي يوقعوا بين المسلمين ويفكوا وحدتهم لم يألوا جهداً في اتهام الشيعة عند أهل السنة بشتى التهم والافتراءات، كما أنَّهم لم يألوا جهداً في اتهام أهل السنة عند الشيعة كذلك، بحيث أنَّهم استطاعوا في بعض البلدان أن يحققوا القطيعة بينهم. إنَّنا عندما نعرض موضوع الإمامة بالأسلوب الذي سبق ذكره، ونوضح النقاط التي يستند عليها الشيعة لتوثيق رأيهم، بالاستناد إلى أدلة من الكتاب والسنة، سيتبين تماماً أنَّ كل تلك الدعاوي كانت كاذبة، وأنَّ أعداءنا المشتركين هم الذين بثوا تلك السموم.

قال آية الله العظمى مكارم الشيرازي حفظه الله (لا أنسى إنَّني في إحدى زياراتي للحجاز التقيت أحد

كبار رجال الدين السعوديين وجرت بيننا بحوث، فكان يقول أنه سمع أن الشيعة قرآنًا يختلف عن قرآنهم. فاستولى عليّ العجب، ولكنني قلت له: أخي، إن التحقق من هذا الأمر سهل للغاية. إنني أدعوك شخصياً - أو من يمثلك - للحضور معي، بعد انتهاء العمرة، إلى إيران دون إخبار أحد. هناك ستجد في كل شارع وزقاق مسجداً، وفي كل مسجد ستجد عدداً من المصحف الشريف، كما أن القرآن موجود في بيوت جميع المسلمين. وسوف نزور أي مسجد شئت، أو نطرق باب أي منزل أردت ونطلب منهم أن نرى القرآن الذي يتلونه، وعندئذ يتبين إن كان هناك أي اختلاف، حتى في كلمة واحدة أو في حرف واحد بين ما عندنا وعندكم من كتاب الله، بل إن الكثير من نسخ المصحف الشريف المتداولة عندنا هي من طبع الحجاز أو مصر أو سائر البلاد الإسلامية. لا شك إن هذا الكلام الأخوي الصادق والمنطقي تماماً قد أزال من ذهن أحد الرجال المعروفين تلك السموم العجيبة).

ما هي الإمامة؟

الإمام كما هو واضح من الكلمة، هو الذي يُقتدى به في الإسلام ويتقدم المسلمين ويقودهم. وفي عقائد الشيعة الإمامية يطلق الإمام المعصوم على من يكون خليفة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في كل شيء، سوى أن النبي هو مؤسس الإسلام، والإمام حافظه وحاميه، والنبي يتلقى الوحي، والإمام لا يأتيه الوحي، بل يأخذ تعليماته من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ويمتاز بعلم غزير خارق للعادة.

الإمام المعصوم - عند المسلمين الشيعة - لا يعني رأس الحكومة الإسلامية فحسب، بل هو القائد الديني والروحي للأمة، وهو القائد لكل مكونات المجتمع الإسلامي أيضاً، وعليه تقع مسؤولية حماية العقائد والأحكام الإسلامية بدون أي خطأ أو انحراف، وهو عبدٌ اختاره الله من بين عباده. إلا أن أهل السنة لا يفسرون الإمامة هكذا، وإنما يعتبرون الخليفة رئيس حكومة المجتمع الإسلامي. وبعبارة أخرى إنهم يعتبرون الحكم - ما داموا حكاماً - في كل عصر وزمان خلفاء رسول الله وأئمة المسلمين.

ولسوف نثبت في بحثنا التالي وجوب أن يكون في كل عصر وزمان ممثل إلهي - نبي أو إمام معصوم - لكي يحرس الدين الحق، ويهدي السائرين إلى الله. وإذا ما غاب عن الأنظار لسبب من الأسباب، عهد إلى آخرين بتمثيله في تبليغ الأحكام وتشكيل الحكومة.

* مقتبس بتصرف من كتاب دروس في العقائد الإسلامية: آية الله العظمى مكارم الشيرازي.

بحوث في الإمامة - ٢

فلسفة وجود الإمام:

تشارك الإمامة مع النبوة في الأهداف العامة، ونود هنا أن نسلط الضوء على بعض منها:
أ - التكامل المعنوي الى جانب وجود القادة الإلهيين:

قبل كل شيء نتوجه إلى الهدف من خلق الإنسان، فهو أساس عالم الخليفة: فإنَّ الإنسان يطوي طريقاً طويلة فيها كثير من المنعطفات والعثرات تحول بينه وبين سيره نحو مرضاة الله سبحانه، ونحو التكامل المعنوي بجميع أبعاده. ومن البديهي أنَّه لا يستطيع أن يقطع هذا الطريق بنجاح بغير هداية قائد معصوم، ولا أن يطويه بغير معلّم سماوي، لأنَّه طريق مخوف بالظلمات وبمخاطر الضلال. صحيح أنَّ الله قد وهب الإنسان العقل والحكمة، ومنحه وجداناً قوياً، وأرسل إليه كتباً سماوية، ولكن هذا الإنسان مع كل هذه الوسائل التكوينية والتشريعية، قد يخطئ في تمييز خط سيره، لذلك فإنَّ وجود دليل معصوم يأخذ بيده، سيقبل كثيراً من احتمالات الانحراف والضلال. فبناءً على ذلك نقول: إنَّ وجود الإمام يكمل الهدف من خلق الإنسان. وهذا هو ما يطلق عليه في كتب العقائد اسم قاعدة اللطف، ويقصدون بها أنَّ الله الحكيم يدُّ الإنسان بجميع الأمور اللازمة لكي يصل إلى هدف خلقه، ومن ذلك إرسال الأنبياء وتعيين الأئمة المعصومين.

ب - حماية الشرائع السماوية:

إنَّ الأديان الإلهية عند أوَّل نزولها على قلوب الأنبياء تكون أشبه بقطرات المطر النقية التي تمنح الحياة وتربي الروح. ولكنها عندما تدخل المحيط الملوَّث والأدمغة الضعيفة غير النظيفة تتلوَّث بالتدريج، وتضاف إليها الخرافات والأوهام، بحيث أنَّها تفقد شفافيَّتها ولطافتها الأولى، وعندئذ لا يبقى لها شيء من جاذبيتها وتفقد الكثير من تأثيرها التربوي، فلا هي تروي عطش العاشق، ولا هي تنبت برعماً لفضيلة. ههنا تتضح ضرورة وجود القائد المعصوم باعتبار أنَّه هو الذي يحمي أصالة الدين، وخلوص المناهج الدينية، ويحول دون كل اعوجاج وانحراف وفكر وافد ونظرة سقيمة غريبة، وكل الخرافات والأساطير، إذ لو بقي الدين بدون وجود مثل هذا القائد والحامي لفقد في فترة قصيرة أصالته ونقاؤه. ولهذا نجد الإمام علياً عليه السلام يقول في إحدى خطبه: (اللهم بلى، لا تخلو الأرض من قائم لله بحجة، إمّا ظاهراً مشهوراً، وإمّا خائفاً مغموراً لئلا تبطل حجج الله وبيئاته).

ج - قيادة الأمة سياسياً واجتماعياً:

الأُمم والمجتمعات البشرية بحاجة إلى نظام اجتماعي يترعّمه قائد قادر، وهذا القائد قد يكون صالحاً يقود مجتمعه إلى بر الأمان، ولكنه كثيراً ما لا يكون. ولطالما استطاع كثير من طالبي الجاه والسلطة استغلال حاجة الناس إلى القائد ففرضوا أنفسهم بالقوَّة والتزوير، واستحوذوا على أئمة الأمور.

هذا من جهة، ومن جهة أخرى، ولكي يتمكن الإنسان من الوصول إلى هدفه المعنوي، سيكون بحاجة إلى طاقات الآخرين من أفراد المجتمع، لأن طاقات الفرد الفكرية والجسمية والمادية والمعنوية ليست شيئاً يذكر بآزاء طاقات المجتمع الجبارة. ولكن المجتمع المطلوب هو الذي يسوده نظام سليم، تتضح فيه مواهب الإنسان، ويقف بوجه الانحرافات، ويحافظ فيه على حقوق جميع الأفراد، ويضع الخطط والمناهج للوصول إلى أهدافه الكبرى، ويعبئ الدافع الحرك في المجتمع ضمن إطار من الحرية يشمل المجتمع كله.

ولما كان الإنسان العادي المعرض للخطأ غير قادر على حمل مثل هذه الرسالة العظيمة، بدليل ما نراه بأعيننا من انحراف قادة العالم السياسيين عن جادة الصواب، كان لابد أن يختار الله قائداً معصوماً يضطلع بمهمة الإشراف على تحقيق هذه الرسالة، بالاعتماد على طاقات البشر الكامنة وأفكار العلماء في الوقت الذي يقف بوجه الانحرافات بحزم. وهذا وجه آخر من أوجه الغرض من وجود الإمام المعصوم، وفرع آخر من فروع قاعدة اللطف.

د - ضرورة إتمام الحجة:

إن وجود الإمام لا يقتصر على إنارة القلوب المستعدة للهداية والسير في طريق التكامل، بل يعتبر إتماماً للحجة على الذين ينحرفون متعمدين عن الطريق السوي، وذلك كي لا يكون عقابهم يوم القيامة دون سبب ولكي لا يعترض معترض منهم أنهم لو أخذ بأيديهم مرشد إلهي ليقودهم إلى طريق الرشاد، لما ساروا في طريق الانحراف. أي إن وجود الإمام يقطع الطريق على كل عذر وحبّة بوساطة بيان الأدلة الكافية، والتوعية اللازمة لغير الواعين، وتطمين الواعين وتقوية إرادتهم.

شروط الإمام الخاصة وصفاته :

إن أهم الشروط الضرورية التي ينبغي توفرها في الإمام هي:

١ - العصمة من الخطأ والإثم:

الإمام، كالنبي، يجب أن يكون معصوماً، أي أن يكون مصوناً من كل «خطأ» و«إثم»، وإلا لم يسعه أن يكون قائداً ونموذجاً وقدوة وأسوة للناس يعتمدونه ويتبعونه. لا بد للإمام من أن يستحوذ على قلوب الناس، فيأتمرون بأمره دون اعتراض. فمن كان ملوثاً بالإثم لا يمكن أبداً أن يبلغ هذا المبلغ في القلوب ولا يكون موضع ثقة الناس واطمئنانهم. ومن كان في أعماله اليومية عرضة للأخطاء والهفوات، كيف يمكن أن يوثق به في إدارة أعمال المجتمع ويطمأن إلى آرائه وتنفيذها بدون أي اعتراض؟

إذن، لاشك في أن النبي يجب أن يكون معصوماً، وهذا الشرط لازم في الإمام أيضاً، كما ذكرنا. هذه المقولة يمكن اثباتها من طريق آخر أيضاً، وهي طريق «قاعدة اللطف» نفسها التي يستند إليها لزوم وجود النبي والإمام، وذلك لأن الهدف من وجود النبي والإمام لا يتحقق بدون هذه العصمة فيهما، وما ذكرناه في الدرس السابق عن الحكمة في وجودهما يظل ناقصاً.

٢ - العلم الغزير:

الإمام، كالتّبي، هو المجأ العلمي للناس، فلا بدّ أن يكون عارفاً بجميع أصول الدين وفروعه، وبظاهر القرآن وباطنه، وبسنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وبكل ماله علاقة بالاسلام معرفة تامة، وذلك لأنّه حافظ الشريعة وحاميه، كما هو قائد الناس ومرشدهم.

من ذلك نعرف أنّ من يرتبك عند مواجهة مشكلة معقدة، أو الذين يرجعون إلى الآخرين يطلبون عندهم الحلول، لأنّ ما عندهم من علم يقصر عن الإجابة على أسئلة المجتمع المسلم، ليس لهم أن يتحملوا مسؤولية إمامة الأمّة وقيادتها.

٣ - الشّجاعة:

الإمام يجب أن يكون أشجع أفراد المجتمع، إذ أنّ القيادة بغير شجاعة غير ممكنة، الشّجاعة عند مواجهة الحوادث الصعبة المرة، الشجاعة عند الوقوف بوجه الأقوياء الغلاظ الظالمين، الشجاعة في صد الأعداء الموجودين في داخل المجتمع الإسلامي وخارجه.

٤ - الزّهد والتّحرر:

من المعلوم أنّ الذين يميلون إلى مباحج الدنيا وزخرفها سرعان ما ينخدعون ويسهل إغراؤهم بالانحراف عن طريق الحق والعدالة بوساطة الترغيب أحياناً والترهيب أخرى. وشخص هذا شأنه يكون في الواقع «أسيراً» للدنيا، بينما الإمام يجب أن يكون متحرراً من أسر أهواء النفس ومنطلقاً من قيود الثروة والجاه، لكيلا يستطيع أحد إغراءه، ويؤثر فيه ويحمله على الاستسلام والمساومة.

٥ - الجاذبية الأخلاقية:

يقول القرآن الكريم في رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ) آل عمران: ١٥٩. إنّ النّبي الذي هو إمام وقائد معاً يجب أن يملك ذلك الخلق الرفيع الذي يجذب إليه الناس كما يجذب المغناطيس الحديد. لاشك أن كل خشونة وسوء خلق ممّا يثير النفور والتباعد في الناس ويعتبر من العيوب الكبيرة في النّبي أو الإمام، لذلك فإن الانبياء والائمة منزهون عن هذا العيب، وإلاّ كان الوجود عبثاً لا طائل منه.

* مقتبس بتصرف من كتاب دروس في العقائد الإسلامية: آية الله العظمى مكارم الشيرازي.

البداء

إن من العقائد الثابتة عند الشيعة الإمامية هو القول بالبداء، وقد أنكر عليهم أهل السنة ذلك، نتيجة سوء فهم للمراد من البداء عند المسلمين الشيعة.

قال الشيخ جعفر السبحاني حفظه الله: (سألني أحد علماء أهل السنة عن حقيقة البداء فأجبته.. فتعجب عن إتقان معناه، غير أنه زعم أن ما ذكرته نظرية شخصية لا صلة بها بنظرية الإمامية في البداء، فطلب مني كتاباً لقدماء علماء الشيعة، فدفعت إليه «أوائل المقالات»، و«شرح عقائد الصدوق» لشيخ الأمة محمد بن النعمان المفيد - ٣٣٦ / ٤١٣هـ - فقرأهما بدقة، وجاء بالكتاب بعد أيام وقال: لو كان معنى البداء هو الذي يذكره صاحب الكتاب فهو من صميم عقيدة أهل السنة ولا يخالفون الشيعة في هذا المبدأ أبداً). ولتوضيح حقيقة البداء نأتي بمقدمات:

الأولى: اتفقت الشيعة على أنه سبحانه عالم بالحوادث كلها ماضيها وحاضرها ومستقبلها، لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء، فلا يتصور فيه الظهور بعد الخفاء، ولا العلم بعد الجهل، ويدل عليه الكتاب والسنة المروية عن طريق أئمة أهل البيت.

أما من القرآن الكريم فمثاله قوله سبحانه: (إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ) آل عمران: ٥، وأما الأخبار فمثاله قول الإمام موسى الكاظم عليه السلام: (لم يزل الله عالماً بالأشياء قبل أن يخلق الأشياء، كعلمه بالأشياء بعد ما خلق الأشياء) وقول الإمام الصادق عليه السلام في تفسير قوله: (يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ) الرعد: ٣٩: (فكل أمر يريد الله فهو في علمه قبل أن يصنعه، ليس شيء يبدو له إلا وقد كان في علمه، إن الله لا يبدو له من جهل). وعليه فمن نسب إلى الشيعة الإمامية ما يستشتم منه خلاف ما دلت عليه الآيات والأحاديث فقد افترى كذباً ينشأ من الجهل بعقائد الشيعة.

الثانية: الآيات والأحاديث تدل على أنه سبحانه لم يفرغ من أمر الخلق والإيجاد والتدبير والتربية، وهذا يعني أن مصير العباد يتغير، بحسن أفعالهم وصلاح أعمالهم، من الصدقة والإحسان وصلوة الأرحام وبر الوالدين، والاستغفار والتوبة وشكر النعمة وأداء حقها، إلى غير ذلك من الأمور التي تُغيّر المصير وتبدّل القضاء وتفرّج الهموم والغموم وتزيد في الأرزاق والأمطار والأعمار، كما أن لحرم الأعمال وسيئها من قبيل البخل والتقصير وسوء الخلق وقطيعة الرحم وعقوق الوالدين والطيش وعدم الإنابة وكفران النعمة وما شابهها تأثيراً في تغيير مصيرهم بعكس ذلك من إكثار الهموم والقلق ونقصان الأرزاق والأمطار والأعمار وما شاكلها. فليس للإنسان مصير واحد، يصيبه على وجه القطع، بل المصير أو المقدّر يتغير ويتبدل بالأعمال الصالحة والطالحة وشكر النعمة وكفرانها، وبالإيمان والتقوى، والكفر والفسوق. وهذا مما لا يمكن - لمن له أدنى علاقة بالكتاب والسنة - إنكاره أو ادعاء جهله.

من أدلة البداء في القرآن الكريم:

١- قال تعالى (يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ) الرعد: ٣٩، وقد روي أن الخليفة عمر بن الخطاب كان يقول وهو يطوف بالكعبة: (اللهم إن كنت كتبتني في أهل السعادة فأثبتني فيها، وإن كنت كتبتني على الذنب فامحني وأثبتني في أهل السعادة، فإنك تمحو ما تشاء وتثبت وعندك أم الكتاب). وروي نظير هذا الكلام عن ابن مسعود وابن عباس وغيرهم.

٢- قال تعالى: (فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا * يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا * وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا) نوح: ١٠-١٢.

٣- قال تعالى: (وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ) الأعراف: ٩٦.

فالأعمال الصالحة والاستغفار علة مؤثرة في نزول المطر وكثرة الأموال والبنين وجريان الأنهار إلى غير ذلك، ومؤثرة في مصير الإنسان.

من أدلة البداء في الحديث الشريف:

١- عن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم: (داووا مرضاكم بالصدقة، وادفعوا أبواب البلاء بالدعاء).
 ٢- عن أمير المؤمنين علي عليه السلام: (الاستغفار يزيد في الرزق).
 ٣- عن الإمام الرضا عليه السلام أنه قال: (يكون الرجل يصل رحمه فيكون قد بقي من عمره ثلاث سنين، فيصيرها الله ثلاثين سنة، ويفعل الله ما يشاء).

كما روى علماء أهل السنة عن علي عليه السلام: أنه سأل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن هذه الآية: (يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ) فقال له: (لَأَقْرَنَّ عَيْنِيكَ بتفسيرها، ولَأَقْرَنَّ عَيْنَ أُمِّي بعدي بتفسيرها: الصدقة على وجهها، وبر الوالدين، واصطناع المعروف يحول الشقاء سعادة، ويزيد في العمر، ويقي مصارع السوء). وقال ابن كثير (ت ٧٧٤ هـ) وهو من علماء أهل السنة بعد نقل قسم من الروايات: (ومعنى هذه الروايات أن الأقدار ينسخ الله ما يشاء منها ويثبت منها ما يشاء، وقد يستأنس لهذا القول بما رواه الإمام أحمد عن ثوبان قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: (إن الرجل ليُحرم الرزق بالذنب يصيبه ولا يرد القدر إلا بالدعاء، ولا يزيد في العمر إلا البر). ثم نقل عن ابن عباس: (الكتاب كتابان، فكتاب يمحو الله منه ما يشاء ويثبت عنده ما يشاء، وعنده أم الكتاب).

وخلاصة القول: إن عقيدة المسلمين الشيعة لا تختلف عن عقيدة إخوانهم من أهل السنة بخصوص البداء، وأن سوء الفهم هو الذي سبب القول بأننا ندعي أن الله يجهل بعض الأمور تحت عنوان البداء والعياذ بالله.

* مقتبس بتصرف من كتاب أضواء على عقائد الشيعة الإمامية: آية الله العظمى جعفر السبحاني.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قضايا إسلامية

نحن والقرآن

سؤال: ما هي وظيفتنا الفعلية تجاه القرآن الكريم؟

الكثير منا ينشد إلى أن يفهم القرآن فهماً صحيحاً، وأن يقف على أسرارهِ وتعاليمهِ، وهناك مقدمات ضرورية وضعها العلماء في فهم القرآن:

١- الفهم الإجمالي للقرآن الكريم لا يختص بفئة معينة، فقد جاء القرآن ليستفيد منه الجميع. وفي التاريخ قصص عديدة تحدثت عن أفراد كانوا كافرين بالإسلام ويعارضونه، ولكنهم بعد أن استمعوا لبعض آيات القرآن وأدركوا معانيها تعلقوا بالإسلام تعلقاً شديداً واستشهدوا بهداه.

٢- إن القرآن الكريم مع كون معظمه ميسراً لفهم العامة قد نزل باللغة العربية لغة عصر النبي، وكان خطابه شفهياً وليس خطياً.. وعلى المهتمين بدراسة القرآن وفهمه أن يولوا هذه المعطيات - وما يترتب عليها - اهتماماً كبيراً، وذلك من خلال ثلاثة شروط:

الشرط الأول: الإحاطة باللغة العربية من خلال المعرفة الجيدة بالصرف والنحو واللغة، وقابلية الاستفادة من الكتب اللغوية، مع الالتفات إلى أن لبعض المفردات عدة معانٍ، الأمر الذي يقتضي مقدرة نسبية في الاستفادة من الكتب اللغوية لتحديد المعنى المناسب.

الشرط الثاني: ضرورة الاطلاع على ثقافة اللغة العربية في الحجاز ونجد واليمن ومناطق التداول في عصر النبوة، ويعلم كل من لديه معرفة باللغات أن اللغة عند كل الشعوب تتطور وتتغير. فإن هناك مفردات لغوية تعطي الآن معنى مغايراً للمعنى الذي أعطته قبل ألف وأربعمائة عام. ومثال ذلك كلمة (هلك) التي ليس لها مدلول سلبي في اللغة في ذلك الزمن، بينما تعطي هذه الدلالة في عصرنا هذا. ويضم إلى معرفته باللغة إحاطته بالظروف الاجتماعية وغيرها التي تكتنف عصر صدور الموضوع، لأن الخطاب القرآني عاش في وسط تلك الأجواء، لذلك ثمة مجموعة من القرائن تساعد على فهم قصد المتحدث والكاتب.

الشرط الثالث: إن القرآن ليس مؤلفاً على شكل كتاب، وإنما هو مجموعة من الآيات والسور التي تنزلت على مدى ثلاثة وعشرين عاماً، وفي مناسبات مختلفة، وظروف متنوعة، ثم جُمعت بهذا الشكل. ولم يكن تنظيم الآيات وترتيبها حسب نزولها ووحيتها. من هنا، فإذا رأينا أحياناً أن المعنى الظاهر والواضح لآية لا يرتبط ارتباطاً كاملاً مع موضوع الآيات اللاحقة أو السابقة، فيجب أن لا يستولي علينا الشك والريب، فنحاول عبثاً أن نفرض معنى للآية كي نوجد الترابط بينها وبين تلك الآيات.

٣- الملاحظ في آيات القرآن الكريم أن بعضها تناولت نفس الموضوع في فترات مختلفة ونتيجة لتغير الظروف، تعالج ما استجد من أمور وتكمل الموضوع السابق، لذلك فإذا أردنا أن نتبين رأي الإسلام في موضوع معين فيجب استقصاء كل الآيات ذات العلاقة بذلك الموضوع وتنظيمها وفق التسلسل الزمني لتنزلها.

٤- ينبغي أن ندرك أن القرآن بحكم كونه كتاباً عالمياً وخالداً لا يمكن أن يقتصر محتواه على ظروف ذلك العصر، بل يتجاوزها ليشمل كل زمان ومكان. مثال ذلك ما روي من أنه: قُدِّمَ إلى المتوكل رجل نصراني فجر بامرأة مسلمة، فأراد أن يقيم عليه الحد، فأسلم، فقال يحيى بن أكثم: الإيمان يحو ما قبله. وقال بعضهم: يضرب ثلاثة حدود. فكتب المتوكل إلى الإمام الهادي عليه السلام يسأله، فلما قرأ الكتاب، كتب: (يُضْرَبُ حَتَّى يَمُوتَ). فَأَنْكَرَ الْفَقْهَاءُ ذَلِكَ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ يَسْأَلُهُ عَنِ الْعِلَّةِ، فَكَتَبَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ: (فَلَمَّا رَأَوْا بِأَسْنَانًا قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَحْدَهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ * فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيْمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بِأَسْنَانًا سُنَّتَ اللَّهُ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ) غافر: ٨٤-٨٥. فأمر به المتوكل، فُضِرَبَ حَتَّى مَاتَ.

فالإمام الهادي عليه السلام قد استنبط حكم الموضوع من آية مباركة، لا يذكرها الفقهاء في عداد آيات الأحكام، غير أن الإمام لوقوفه على سعة دلالة القرآن، ولسعة امتدادات الآيات القرآنية في الحياة، استنبط حكم الموضوع من تلك الآية.

٥- قد يزعم البعض أن لغة القرآن رمزية، وهنا يجب إيضاح المقصود من هذا الزعم: فإذا كان المقصود منه أن لغة القرآن كالرسائل المشفرة المتداولة بين السياسيين والعسكريين التي تكتب بإشارات ورموز متفق عليها مسبقاً فنحن نرفض ذلك. فالقرآن ليس كتاب رموز وإشارات، إنه كتاب مبين بمفاهيم بينة ومبيّنة، وأن القسم الأعظم والأساسي فيه هو الآيات المحكمات بمعانيها الثابتة والقريبة من فهم العامة. أجل هناك قسم من الآيات القرآنية يسمى بالمتشابهات، وهي رمزية إلى حد ما، ولكنها لا تشكل سوى قسم قليل من الآيات. وأما إذا كان المقصود أن ثمة مفاهيم ومعاني أعلى في القرآن، إضافة إلى المعاني القريبة من فهم الجميع، بحيث يدركها بصورة أفضل أولئك المتقدمون فكرياً أو اجتماعياً، دون أن تتنافى مع تلك، إنما هي مرحلة فوقها، فنحن حينئذ نوافق على هذا الفهم ولا ضير فيه.

٦- في القرآن آيات متشابهة، وهناك نوعان للمتشابهة:

أ- المتشابه الكامل: مثل قوله تعالى (ألم) - (ألر) - (كهيعص).

ب- المتشابه النسبي: بمعنى وضوح معنى العبارة إلى حد ما.

وعندما يتردد الإنسان في فهم المعنى من العبارة بحيث تعطي معنيين متقابلين، نُرجع التشابه إلى الحكم.

٧- هناك من ينسب تفسير آية أو موضوع قرآني إلى النبي أو الإمام بمجرد أنه وجد رواية واحدة أشارت إلى ذلك المورد، لكن من قال إن أي رواية في واقعها صادرة عن النبي أو الإمام إذا نسبت لهما في أي كتاب؟ نعم، إذا ثبت أن الرواية التفسيرية صادرة عن النبي أو الإمام فلا نقاش في ذلك فإنها تلعب دوراً مهماً في فهم القرآن، ولكن مقدار الروايات التفسيرية التي يمكننا الجزم بأنها صادرة عن النبي والأئمة قليل.

مقتبس من كتاب مطارحات : للشيخ حسين المصطفى.

الحياة وثبات الموقف

عندما نتحدث عن الإمام الباقر عليه السلام، فإننا نطلُّ على مرحلة شديدة مرّت على العالم الإسلامي آنذاك، وهي مرحلة انتقال الخلافة من الأمويين إلى العباسيين، والتي عاش فيها المسلمون صراعاً عنيفاً انتهى بسقوط العهد الأموي وبداية العهد العباسي، والإمام الباقر عليه السلام هو الذي استطاع أن يغني الواقع الإسلامي في العمق والامتداد، ذلك أن الظروف السياسية، كانت بين وقت وآخر تضغط على هذا الإمام أو ذاك، فتمنعه من أن يبلغ رسالته كاملةً غير منقوصة، بفعل الاضطهاد الجسدي والمعنوي ومصادرة الحريات وما إلى ذلك، ما منع بعض الأئمة من أن يزيدوا في عطائهم الإسلامي في ما يتضمنه الإسلام من عقائد وقضايا ومفاهيم ومناهج ووسائل وأهداف، فلقد كانت مشكلتهم مع أكثر من حاكم في تلك المراحل، هي أن هؤلاء الحاكمين كانوا يعرفون ما يملكه أئمة أهل البيت عليهم السلام من غنى الفكر والروح والحركة مما لو أطلع الناس عليه لأقبلوا عليهم كما يُقبل الظامىء على الماء.

مدرسة الإمام الباقر العلمية

ولقد عاش الإمام الباقر عليه السلام في أواخر الحكم الأموي، وكان الأمويون في صراعهم مع العباسيين مشغولين عنه من أجل الحفاظ على ملكهم، فاندفع الإمام ليغني الساحة الإسلامية بما وهبه الله من علم، وعلمه هو من علم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

وفي تلك الفترة، كان الإمام الباقر ومعه ولده الإمام جعفر الصادق عليهما السلام، يتحرّكان في مدرسة مفتوحة على الواقع الإسلامي كله، ولم يُقصرا جهودهما وعلمهما على أتباعهما، فترى أن مختلف العلماء ممن يلتزمون اجتهاداً معيناً في العقائد أو الفقه كانوا تلامذة هاتين المدرستين اللتين ليستا إلا مدرسة الإسلام.

حل المشكلات العامة للمجتمع

ولم يقتصر هذا الموقف المنفتح للإمام عليه السلام على الجانب العلمي، بل إن المؤرخ الطبري يذكر في تاريخه أن ملك الروم في عهد الدولة الأموية هدد عبد الملك بن مروان بعدما أراد هذا الأخير تبديل العملة، وكانت العملة المتداولة آنذاك هي الرومية، فأرسل إليه ملك الروم أنك إذا بدلتها فسأصدر عملةً أذكر فيها سبّ نبيكم، وأطلق هذا التهديد في وجهه، واحتار عبد الملك، فكيف يمكن له أن يتراجع عن موقفه الذي يُضعف موقف الدولة، وإذا تراجع، فإن عملة سيصدرها ملك



الروم سيُنقش فيها سبّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فأشير عليه أن يرسل إلى الإمام محمد الباقر ليستقدمه إلى الشام، وإعطاء الرأي في الإصرار على إصدار عملة إسلامية، وهكذا كان.. فعندما أتاه عليه السلام بين له ما يُكتب فيها، وقال: (تدعو في هذه الساعة بصنّاع، فيضربون بين يديك سِككاً للدرهم والدنانير، وتجعل النقش سورة التوحيد وذكّر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، أحدهما في وجه الدرهم والآخر في الوجه الثاني، وتجعل في مدار الدرهم والدينار ذكر البلد الذي يُضرب فيه والسنة التي يُضرب فيها)، وطلب إليه أن يُلزم المسلمين آنذاك باستعمال هذه العملة، وألا يستعملوا عملة ملك الروم، وعندما أدرك ملك الروم إصرار الدولة على ذلك ألغى قراره، وبذلك أنقذ الإمام الباقر عليه السلام الواقع الإسلامي من أزمة حقيقيّة.

الإعلام الملتزم في مواجهة الظالمين

ونجد في تراثه عليه السلام كيف كان يحرك الإعلام الشعريّ في تلك المرحلة الأمويّة من خلال شاعر معروف آنذاك وهو الكميت بن زيد، الذي عرّف بحبه وولائه لأهل البيت عليهم السلام، فدفع ثمن هذا الحب سجناً وتشريداً وشهادة. فقد حرص هذا الشاعر وبإيحاء من الإمام الباقر عليه السلام، على أن يدعو في شعره إلى إسقاط الحكم الأمويّ، وقد حفلت (قصائد الهاشميات) بذكر فضائل أهل البيت عليهم السلام والتحريض على النظام الأمويّ، فنراه ينشد:

هم الأقربون من كلّ خير	وهم الأبعدون من كلّ ذام
وهم الأوفون بالناس في الرأ	فة والأحلمون في الأحلام
بسطوا أيدي النوال وكفّوا	أيدي البغي عنهم والعرام
أخذوا القصد فاستقاموا عليه	حين مالت زوامل الآثام
أسرة الصادق الحديث أبي القا	سم فرع القدامى القدام

وحول ظلامه أهل البيت وانحراف الأمويين قال:

ألا هل عمّ في رأيه متأمل	وهل مدبر بعد الإساءة مقبل
وهل أمةً مستيقظون لرشدهم	فيكشف عنه النعسة المتزمل
وعُطلت الأحكام حتى كأننا	على ملّة غير التي نتحل
كلام الهداة النبیین كلامنا	وأفعال أهل الجاهلية نفعل
رضينا بدنيا لا نريد فراقها	على أننا نموت فيها ونقتل
ونحن بها مستمسكون كأنها	لنا مما نخاف ونعقل

* مقتبس من كتاب في رحاب أهل البيت: لآية الله العظمى السيد محمد حسين فضل الله.

القانون - الأخلاق - التقوى

تدرك المجتمعات الإنسانية أن تنظيم العلاقات في المجتمع أمر هام وحساس وضروري، ومن دونه يستشري الفساد بتضارب المصالح والتنافس واستغلال القوي للضعيف وما إلى ذلك، والفرق ما بين المجتمعات المتحضرة وتلك البدائية أن الثانية تكون فيها التشريعات المنظمة للعلاقات على درجة من البساطة بما يتلاءم مع حجمها وطبيعتها واحتياجاتها، بخلاف المجتمعات الكبيرة والمتحضرة التي تتداخل فيها العلاقات وطرق التعامل والاحتياجات اليومية للأفراد والمجتمع.

حتمية القانون:

ويأتي القانون والتشريع ليكون العنصر الأول الذي تتفق عليه الأمم للنهوض بعملية تنظيم العلاقات في أبعادها السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية، سواء أكانت تلك الأمم تعتمد على القانون السماوي أو الأرضي أو المزيج منهما.

واليوم نشهد أن كثيراً من الدول تعتمد الدساتير، علاوة على قوانين التجارة والصناعة والاقتصاد والعلاقات الاجتماعية في ما يرتبط بالنكاح والنسب والإرث وحضانة الطفل حال الطلاق ورعاية اليتيم والمجنون والصغير والنشر والإعلام، وغيرها. ويرد القانون نظام العقوبات في حال وقوع المخالفة، وهي تتراوح ما بين الإعدام والسجن والغرامة المالية والطرده من العمل، بل قد تطبق بعض التشريعات الإسلامية بإقامة الحدود والتعزيرات وفق الفقه الإسلامي.

وبقدر ما يكون القانون فعالاً وحاضراً في القضايا المختلفة ومحترماً من قبل أفراد المجتمع، والعقاب في المقابل يكون بمستوي الردع بما يتلاءم مع حجم المخالفة أو الجريمة، بقدر ما يستتب الأمن والسلم فيه، وتتحقق من خلاله غاية التشريع.

التربية الأخلاقية:

ولا يكتفي الإسلام بوضع القوانين والتشريعات المنظمة والعقابية، بل يجعل للتربية الأخلاقية نصيباً للإسهام في تحقيق عملية تنظيم العلاقات، وذلك لعدة أسباب محتملة: ضعف أجهزة التنفيذ والقضاء والتشريع في أداء مهامها، أو استئثار الفساد في هذه الأجهزة، أو صعوبة تحقيق حالة الرقابة على تصرفات كل فرد في كل المواقع الحياتية، أو عدم الردع في العقوبات.

لذا كان من الضروري أن تردف حالة التشريع عملية تربية للأفراد من الناحية الأخلاقية لضبط سلوكياتهم، بحيث يكون الدافع نابعاً من الداخل الإنساني بغض النظر عن حضور القانون أو شموليته أو وجود الرادع العقابي من عدمه. (مثال: تخطي الإشارة الضوئية الحمراء حال عدم وجود كاميرا المراقبة ورجل المرور، مشكلة تدفع نحو أهمية زرع أخلاقيات قيادة المركبات لدى مستخدمي الطرق).



وعليه فإننا نجد الآيات القرآنية في مجال الطلاق والإرث وأموال اليتامى، لا تقتصر على القانون، بل تحاول أن تزرع القيم الأخلاقية أو تستحثها لتتفاعل في هذه المجالات. لاحظ:

١- (وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَّغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِّتَعْتَدُوا وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ) البقرة: من الآية ٢٣١.

٢- (وَبَالُوا لِدِينٍ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ) النساء: من الآية ٣٦.

٣- (وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُوا الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينُ فَارْزُقُوهُمْ مِنْهُ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا) النساء: ٨.

عامل التقوى :

وهذا هو العامل الثالث والمهم باعتباره يمثل صمام الأمان وحالة الرقابة الذاتية التي تعضد العاملين الأولين، أو تحل محلها في ما لو فقدا. ولذا تجد أن مجموعة من الآيات القرآنية المشرعة لا تكتفي بالتشريع بل تلحقه بذكر التقوى، لأن حضور الله سبحانه الدائم في تفكير الإنسان وشعوره في مواقع الحياة المختلفة والإحساس بالرقابة الإلهية المستمرة تدفع نحو الاستقامة في السلوك. لاحظ النصوص التالية:

١- (وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَّغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِّتَعْتَدُوا وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ وَلَا تَتَّخِذُوا آيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا وَاذْكُرُوا أَنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِّنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُم بِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ) البقرة: ٢٣١.

٢- (يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا * وَآتُوا الْيَتَامَىٰ أَمْوَالَهُمْ...) النساء: ١-٢.

٣- (وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكَوْا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا) النساء: ٩.

مسؤوليتنا في الدعوة

يقول الله تعالى: (وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) آل عمران: ١٠٤. تخاطب هذه الآية الواقع الإسلامي كله، ومن هم في واقع الدعوة إلى الخير، بحيث تنطلق جماعة من هذه الأمة ممن يملكون الوعي والثقافة والمعرفة والشجاعة والإرادة الصلبة، ليقوموا بمهمة الدعوة إلى الخير. والخير كلمة تتسع لكل ما أحبه الله ورضي به، ولكل ما يرفع مستوى الإنسان في دنياه وآخرته، ولكل ما يمثل القيم الروحية والأخلاقية؛ هذا الخير لا بد من أن تحمل الأمة مسؤولية الدعوة إليه، وأن تنطلق كل الأمة بملايينها لتدعو العالم كله إلى الخير. والدعوة إلى الإسلام تختصر الخير كله، لأن الإسلام في عقائده ومفاهيمه وتشريعاته يمثل الخير الذي يؤصل للإنسان إنسانيته، ويرفع مستواه، وربما يحتاج إلى أقل من الأمة، بحسب الحاجة.

و الدعوة إلى الخير مسؤولية أساسية في الإسلام تطال كل مسلم، ذكراً كان أو أنثى، ولا يكفي في الإنسان المسلم الالتزام بإسلامه في مسؤوليته الخاصة بالنسبة إلى نفسه، بل لا بد أن يحمل الإسلام كمسؤولية من مسؤولياته العامة، بأن يدعو غيره إلى الإسلام.

وقد انتشر الإسلام بهذه الطريقة، فعندما بعث الله رسوله بالإسلام، كان يأتيه الرجل أو الرجلان، أو المرأة أو المرأتان ليدخلوا في الإسلام، ثم يأتون في اليوم الآخر وقد اصطحبوا معهم بعض الناس الذين أقنعوهم بالإسلام، فكان المسلم عندما يدخل بالإسلام، يشعر أن مسؤوليته هي إقناع الآخرين به، سواء كانوا من أقاربه أو من كل معارفه، باعتبار أن الإسلام دين على الجميع تحمل مسؤولية الدعوة إليه، وليس مسألة تكليفية فردية تخص الإنسان وحده، ولكنها مسؤولية تدفع الإنسان إلى أن يهدي غيره ليضم إلى المجتمع الإسلامي مسلمين جددًا.

مسؤولية الأمر والنهي:

وهناك دعوة أخرى في داخل المجتمع الإسلامي، وهي الأمر بالمعروف، أي الأمر بكل ما يحبه الله ويرضاه من الأعمال التي فيها مصلحة للناس، بحيث ترفع مستواهم في كل مواقع حياتهم، في القضايا الخاصة والعامة.. والمنكر هو كل أمر ييغضه الله، ويغضب على من فعله، مما يفسد للإنسان إنسانيته وحياته ويحط من موقعه في الحياة.

فالأمة مسؤولة عن التحرك في داخل المجتمع، ولا سيما في المجتمع الإسلامي، فإذا رأت أحداً فعل منكراً، فإنها تبادر إلى نهيه عنه، وهو أمر يتسع للمسائل المتصلة بالسلوك الفردي أو السلوك الاجتماعي أو السلوك السياسي، فنحن كمجتمع إسلامي أو كأمة إسلامية، نواجه الظلم في المجتمع، سواء كان ظلماً فردياً، كظلم الإنسان للإنسان الآخر، مثل ظلم الزوج لزوجته، أو العكس، أو ظلم الأولاد لآبائهم وأمهاتهم، أو ظلم

الآباء والأمهات لأبنائهم... وهكذا، أو ظلماً عاماً، كما في الناس الذين يظلمون غيرهم ويبغون في الأرض بغير الحق، كالجهاز التي تحاول استعمال قوتها في ظلم الضعفاء، أو كالحكام الذين يصادرون حرية شعوبهم ويفرضون عليهم الضرائب الباهظة، ويعمدون إلى إذلالهم وإهانتهم في كل المجالات. فهذا من المنكر، وقد تمتد المسألة إلى الوضع الدولي، فلو كان هناك دولة في الوسط الإقليمي أو في الوسط الدولي تضطهد شعباً من الشعوب وتستعمره، أو تصدر ثرواته وتنهبها، أو تصدر حرياته السياسية، أو تطبق عليه بطريقة عسكرية كالاحتلال، فإن على الأمة أن ترفع صوتها في مواجهة المستكبرين، على أساس أنه من النهي عن المنكر.



الحرية في خط العدل:

وقد حمل الله سبحانه وتعالى هذه المسؤولية للمؤمنين والمؤمنات معاً، لأنه لا بد من إيجاد جبهة للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من قبل المؤمنين والمؤمنات، بحيث يتوزعون الأدوار، ويتكاملون في مواضعهم من أجل الوقوف ضد كل منكر سياسي أو اقتصادي، أو أممي أو اجتماعي، في داخل الواقع الإسلامي أو خارجه، وهذا هو قوله تعالى: (وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ) يتعاونون ويتناصرون وينسقون ويخططون، (يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ) التوبة: ٧١، بحيث لا تنحصر المسؤوليات العامة بالمؤمنين، بل إنها تشمل المؤمنين والمؤمنات. إن مسألة السياسة ليست كما يتصورها الناس مسألة تتحرك في خط اللعبة، كما يعبر البعض باللعبة السياسية، أو اللعب على الحبال، فالسياسة ليست خداعاً وليست حيلة في تأكيد السليبيات، وإنما هي

تدبير أمور الناس في خط العدالة وفي خط الحماية والرعاية والحرية، وهذه من المسائل التي شجع عليها الإسلام. ولهذا قلنا إن السياسة من الدين؛ سياسة العدل والحرية وسياسة حماية الأمة، فليس الدين شيء والسياسة شيء آخر. نعم، الدين شيء وسياسة اللعب على الحبال شيء آخر، الدين شيء وسياسة الغش والخداع شيء آخر، لأن قلب الدين وأساسه إقامة بالعدل (لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ) الحديد: ٢٥.

* مقتبس من محاضرة لآية الله العظمى السيد محمد حسين فضل الله. واللوحه للفنان شاليبا كاظم.

الجفاف الروحي

الجفاف الروحي يعني حالات الركود والضمور والخمول والكسل التي تصيب الروح.. ولكن السؤال هو كيف نكتشف هذه الحالة؟ وهل نحس به كما نحس بالجوع والعطش والألم؟

المثال الأول- الصلاة: فحينما نصلي، هل نعيش حالة الخشوع في أجوائها؟

إذا كان الجواب (نعم) فنحن نعيش حالة (الصحة الروحية)، وإذا كان الجواب (لا) فنحن نعيش حالة (الكسل الروحي). والقرآن يحدثنا عن غطين من المصلين:

١- الكسالى (إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَى يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا) النساء: ١٤٢.

٢- الخاشعون (قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ * الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ) المؤمنون: ١-٢.

المثال الثاني- الدعاء: فحينما نمارس الدعاء قراءةً واستماعاً:

- هل يرق القلب وتدمع العين؟ هل نعيش الخشية والخوف والطمع؟ فإله سبحانه يقول (يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا) السجدة: ١٦.

- إذا كان الجواب (نعم) فنحن نعيش حالة (الصحة الروحية)، وإذا كان الجواب (لا) فنحن نعيش حالة (الخمول الروحي).

المثال الثالث- تلاوة القرآن: فحينما نتعاطى مع القرآن تلاوةً واستماعاً:

- هل نحس باللذة والنشوة الروحية؟ هل تتفتح أرواحنا على الله؟ هل نعيش الوجل الروحي؟ فإله عز اسمه يقول (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ) الأنفال: ٢. وهل نعيش الخشية والرهبة أثناء الدعاء؟

- إذا كان الجواب (نعم) فنحن نعيش حالة (النشاط الروحي) وإذا كان الجواب (لا) فنحن نعيش حالة (الكسل الروحي).

المثال الرابع- الطاعة والمعصية:

- هل نحب الطاعة ونكره المعصية؟ هل نفرح بفعل الطاعة، ونحزن لفعل المعصية؟ هل نحس باللذة في فعل الطاعة والألم في فعل المعصية؟ هل نخجل من الله حينما نمارس المعصية؟

- إذا كان الجواب (نعم) فنحن نعيش (الصحة الروحية) وإذا كان الجواب (لا) فنحن نعيش (الجفاف الروحي).

المثال الخامس- أخلاقنا مع الناس:

- حينما نبتسم للناس، هل تبتسم قلوبنا؟ حينما نصافح الناس، هل تصافحهم أرواحنا؟ هل عواطفنا مع الناس عواطف ربانية؟ هل نعيش الشفافية في علاقاتنا مع الناس؟

- إذا كان الجواب (نعم) فنحن نعيش (الصحة الروحية) وإذا كان الجواب (لا) فنحن نعيش (الجفاف الروحي). والأمثلة والدلالات كثيرة في هذا المجال ...

أسباب الجفاف الروحي:

معرفة الأسباب تفيدنا في التوقي منها لإزالة الجفاف وآثاره، ومن بين الأسباب:

١- تلوث القلب: فالقلب الممتلئ بالحقد والكراهية والغش والنفاق ونية السوء، يكون مغلقاً على أسباب الهداية والموعظة والتفاعل الإيجابي مع ما حوله، الأمر الذي يؤدي إلى الجفاف الروحي (كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ) المطففين: ١٤.

٢- المعاصي: فمن آثارها إصابة الإنسان بنكسة روحية، بمعنى أنه يتخلى فجأة أو تدريجياً عن حالة الإقبال على الله والعبادة والانشداد للخير والعمل الصالح. فعن النبي الأكرم محمد صلى الله عليه وآله وسلم: (إذا أذنب العبد نكتت في قلبه نكتة سوداء، فإذا تاب صقل منها، فإن عاد زادت حتى تعظم في قلبه). وعن أمير المؤمنين علي عليه السلام: (من أكل الحرام اسود قلبه، وضعفت نفسه، وقلت عبادته). وعنه عليه السلام: (ما جفت الدموع إلا لقسوة القلوب، وما قست القلوب إلا لكثرة الذنوب).

ومن التوفيقات الربانية أن يحظي الإنسان بشرف اللقاء مع الله تعالى في جوف الليل (تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ * فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) السجدة: ١٦-١٧، ولكن الإنسان يُحرم منها بمعصية (جاء رجل إلى أمير المؤمنين عليه السلام فقال: إني حرمت قيام الليل). فأجابه أمير المؤمنين: (أنت رجل قد قيدت ذنوبك).

٣- الإسراف في الأكل والشرب وفي الملذات: فقد ورد في الحديث النبوي (لا تُميتوا قلوبكم بكثرة الطعام والشراب، فإن القلوب تموت كالزراع إذا كثر عليه الماء).

٤- الغفلة عن ذكر الله باللسان والقلب وفي المواقع التي تعرض الملذات نفسها في الحرام، ولربما يذكر الإنسان ربه باللسان وينساه في القلب، ولربما يذكره بلسانه ولكن يكذب أو يغتاب أو يبهت أو يسعى بالنميمة، أو يؤذي الناس بلسانه وفعله.. ولربما يذكر الله بلسانه ولكن يعادي أولياء الله في الفعل والقول والموقف، ولا يغضب لله، ولا يحب في الله.. إلخ، وفي ذلك يقول سبحانه (وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى) طه: ١٢٤.

ولعلاج الجفاف الروحي نحتاج إلى التخلص من أسباب الجفاف الروحي وممارسة الشحن الروحي المستمر من خلال الاهتمام بالفرائض والنوافل والدعاء وتلاوة القرآن وأمثالها، ثم الحفاظ على الوهج الروحي من خلال المراقبة وزيادة الجرعات من حين لآخر ومحاسبة النفس وتوجيهها.

* مقتبس من كتاب تحت نفس العنوان: للسيد عبدالله الغريفي.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الفقه

الحدث الأصغر والوضوء

الحدث عبارة عن قذارة معنوية توجد في الإنسان بأحد أسبابها، وينقسم الحدث إلى قسمين: حدث أصغر - حدث أكبر.

الحدث الأصغر:

الحدث الأصغر عبارة عن قذارة معنوية إذا حصلت بأحد أسبابها، توجب على الفرد أن يتوضأ من أجل الصلاة والطواف الواجب وغير ذلك من العبادات والتصرفات التي تحتاج إلى الوضوء.

أسباب الحدث الأصغر:

١. خروج البول
٢. خروج الغائط
٣. خروج الريح من الدبر
٤. ما يسبب ذهاب العقل كالنوم والإغماء والجنون والسكر
٥. الاستحاضة

أحكام الحدث الأصغر:

- إذا طرأ على الفرد شيء من أسباب الحدث الأصغر كخروج البول مثلاً:
- ١- لم تصح منه الصلاة، ما عدا صلاة الميت.
 - ٢- لم يصح منه الإتيان بالأجزاء المنسية من الصلاة الواجبة، وكذا صلاة الاحتياط.
 - ٣- لم يصح منه الطواف الواجب.
 - ٤- لم يجز له مس كتابة القرآن الكريم.
 - ٥- الأحوط وجوباً عدم مس اسم الجلالة وأسماء الله وصفاته الخاصة مثل القيوم والرزاق والخالق.
- أجزاء الوضوء:**

١. غسل الوجه:

طولاً: ما بين قصاص الشعر إلى طرف الذقن.

عرضاً: ما اشتملت عليه الإصبع الوسطى والإبهام. ويجب الابتداء بأعلى الوجه إلى الأسفل فالأسفل عرفاً على الأحوط وجوباً.
٢. غسل اليدين: من المرفقين إلى أطراف الأصابع، ويجب الابتداء بالمرافقين ثم الأسفل فالأسفل عرفاً.
٣. مسح مقدم الرأس: بالبلل الموجود على باطن كف اليد اليمنى، ويكفي تحقق مسمى المسح، والأحوط استحباباً أن يكون بمقدار ثلاثة أصابع مضمومة عرضاً، وبمقدار إصبع واحد طولاً.

٤. مسح ظاهر القدم اليمنى بالبلل الموجود على باطن الكف اليمنى، ومسح ظاهر القدم اليسرى بالبلل الموجود على باطن الكف اليسرى، من أطراف الأصابع إلى مفصل الساق على الأحوط وجوباً. ويكفي تحقق مسمى المسح، وإن كان الأحوط استحباباً للمسح بكل الكف.
شرائط الوضوء:

١- النية

٢- إباحة الماء وإطلاقه وطهارته، والأحوط وجوباً أن لا يكون الماء مستعملًا في التطهير من الخبث

٣- إباحة الفضاء الذي يقع فيه الوضوء

٤- أن لا يكون مانع من استعمال الماء شرعاً، ومباشرة المتوضئ للغسل والمسح بنفسه، والموالة، والترتيب بين أعضاء الوضوء، وطهارتها.



* وفق فتاوى آية الله العظمى السيد علي السيستاني.

الحدث الأكبر - ١

الحدث الأكبر عبارة عن القذارة المعنوية التي إذا حصلت بأحد أسبابها ترتب عليها الغسل من أجل الصلاة والطواف الواجب وغير ذلك من العبادات والتصرفات التي تحتاج إلى الكون على طهارة. وأسباب الحدث الأكبر ستة، وهي: الجنابة - الحيض - النفاس - الاستحاضة - مس الميت - الموت. الجنابة:

تتحقق الجنابة بأمرين هما: خروج المني - الجماع.
أولاً: خروج المني:
س: ما هو المني؟

ج: المني عبارة عن سائل يخرج من فرج الرجل في حال الشهوة عادة ويكون ذا لون وصفات معروفة.
س: هل يخرج المني في غير حالات الشهوة؟

ج: نعم، قد يخرج المني من غير شهوة أحياناً، كخروجه مع البول.

س: إذا خرج سائل وشك في كونه منياً فما حكمه؟

ج: هناك علامات إذا توافرت يحكم بكونه منياً:

١. الشهوة السابقة والمقارنة لخروج هذا السائل

٢. خروج هذا السائل بدفق وقوة

٣. فتور الجسد بعد خروج هذا السائل

س: هل تتحقق هذه العلامات عند الرجل المريض؟

ج: قد تتوفر كل العلامات السابقة، ولكن يكتفي بعلامتي الشهوة والفتور.

س: ما حكم المني من حيث الطهارة؟

ج: مني الرجل نجس.

المذي - الودي - الوذي:

س: ما حكم السائل الشفاف - عادة - الخارج من فرج الرجل، إن لم يكن منياً ولا بولاً ولا دمًا؟

ج: السائل الخارج من فرج الرجل قد يكون واحداً مما يلي:

١- المذي: وهو السائل الذي يخرج إثر الشهوة والملاعبة، دون أن تتحقق فيه العلامات الخاصة بالمني.

٢- الودي: وهو السائل الذي يخرج بعد خروج المني كله.

٣- الوذي: وهو السائل الذي يخرج بعد خروج المني كله.

وجميع ما سبق طاهر، وليس من أسباب الحدث الأصغر ولا الأكبر.

الاحتلام:

س: ما هو الاحتلام؟

ج: قد يرى الرجل البالغ - في حال النوم - حلماً مثيراً للشهوة، فيصل أثر ذلك إلى حد الذروة الجنسية وهذا يسمى (الاحتلام). فإذا خرج المني حينذاك من الفرج، كان الفرد مجنباً وعليه الغُسل.

س: وماذا لو تحرك المني من محله بالاحتلام، ولكنه لم ينزل خارج الفرج؟

ج: لا يعتبر ذلك جنابة، ولا يجب الغُسل حينذاك.

الاستمناء (العادة السرية):

س: ماذا يقصد بالاستمناء؟

ج: الاستمناء هو وسيلة لبلوغ الذروة الجنسية وإنزال المني من قبل الرجل بغير جماع ولا احتلام.

س: ما حكم الاستمناء؟

ج: الاستمناء من المحرمات والذنوب الكبيرة. والمستمني يعتبر مُحَدَّثاً بالحدث الأكبر، ويجب عليه الغُسل.

الاستبراء:

س: ماذا يقصد بالاستبراء؟

ج: الاستبراء على قسمين:

١- الاستبراء من البول (الخرطات التسع): وهو وسيلة للتأكد من خروج كل البول من موضعه. ويتم ذلك بالمسح بالإصبع من مخرج الغائط إلى أصل القضيب ثلاث مرات، ثم مسح القضيب أحدهما من فوقه والآخر من تحته إلى الحشفة ثلاث مرات، ثم عصر الحشفة ثلاث مرات.

س: ما فائدة الاستبراء من البول؟

ج: إذا استبرأ الرجل من البول، كان البول المشتبه به والخارج بعد الاستبراء طاهراً وبحكم الودي، وأما إذا لم يستبرئ وخارج سائل مشتبه به فهو بحكم البول.

٢- الاستبراء من المني: وهو وسيلة للتأكد من خروج كل المني من الفرج. ويتم ذلك بالتبول بعد نزول المني.

س: ما فائدة الاستبراء من المني؟

ج: إذا استبرأ الرجل من المني، كان البول المشتبه به والخارج بعد الاستبراء ليس بمني، وأما إذا لم يستبرئ كان البول المشتبه به بحكم المني.

س: أي الإستبراءين يأتي به مَنْ نزل منه المني؟

ج: الأفضل له أن يستبرئ من المني أولاً بالتبول، ثم يستبرئ من البول بالخرطات التسع.

* وفق فتاوى آية الله العظمى السيد علي السيستاني.

الحدث الأكبر - ٢

ثانياً - الجماع: وهو السبب الثاني للجنابة. ويتحقق الجماع بدخول حشفة عضو الرجل في فرج المرأة أو دبرها. وحينذاك يعتبر الرجل والمرأة معاً مجنبيين، وإن لم ينزل المني من الرجل.

أحكام الجنابة:

إذا أجنب الرجل وجب عليه أن يغتسل غسل الجنابة إذا أراد الإتيان بما يلي:

١. الصلاة، ما عدا صلاة الميت
 ٢. الأجزاء المنسية من الصلاة، وصلاة الاحتياط
 ٣. الطواف الواجب (أي كان جزء من حجة أو عمرة)، والأحوط وجوباً عدم صحة الطواف المستحب
 ٤. الصوم، على تفصيل مذكور في كتاب الصوم
 - س: ماذا يحرم على المجنب فعله؟
 - ج: يحرم على المجنب عدة أمور هي:
 - ١- مس كتابة القرآن الكريم
 - ٢- مس لفظ الجلالة وأسماء الله وصفاته الخاصة على الأحوط وجوباً
 - ٣- دخول المسجد، وإن كان لأخذ شيء منه
 - ٤- المكث في المسجد، ولا يحرم الاجتياز والعبور بالدخول من باب والخروج من آخر
 - ٥- وضع شيء في المسجد، وإن كان في حال الاجتياز، أو من الخارج
 - ٦- الدخول في المسجد الحرام ومسجد النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وإن كان على نحو الاجتياز. والأحوط وجوباً إلحاق المشاهد المشرفة للمعصومين عليهم السلام بالمساجد
 - ٧- قراءة آيات السجدة الواجبة (العزائم)، وهي الموجودة في سور (السجدة - فصلت - العلق - النجم)
- مس الميت:**

مس الميت من أسباب الحدث الأكبر، وهو يوجب الغُسل، ويشترط في ذلك أن يكون جسد الميت قد برد، ولم يتم غُسله بعد، ولا فرق في ذلك بين أن يكون الميت مسلماً أو كافراً. ولو لم يبرد الجسد بعد، لم يجب الغسل لمسه، وكذلك لو تم غُسل الميت ثم حدث المس، فإنه لا يجب الغُسل لذلك أيضاً.

يحرم بمس الميت:

١. مس كتابة القرآن الكريم
 ٢. مس أسماء الله تعالى وصفاته الخاصة على الأحوط وجوباً.
- وأما دخول المساجد والمشاهد المشرفة والمكث فيها، وقراءة آيات السجدة فهو جائز.

الموت:

موت الإنسان من أسباب الحدث الأكبر، ويجب حينذاك غسل الميت قبل تحنيطه وتكفينه والصلاة عليه ودفنه.

س: كيف يتم غسل الميت؟

ج: يتم غسل الميت بالطريقة التالية:

- ١- تزال النجاسة عن بدنه، إن وجدت
- ٢- يُغسل الميت بماء السدر غُسلًا ترتيبياً
- ٣- يُغسل الميت بماء الكافور غُسلًا ترتيبياً
- ٤- يُغسل الميت بالماء القراح (الخالص) غُسلًا ترتيبياً

الغسل:

الغسل قسمان: ارتقاسي - ترتيبي.

الغسل الارتقاسي عبارة عن غمس البدن في الماء دفعة واحدة عرفية. ولا يشترط أن يكون جميع البدن خارج الماء قبله. ويتم الغسل الترتيبي بالكيفية التالية:

- ١- غُسل الرأس والرقبة وشيء مما يتصل به من الرقبة من البدن
- ٢- غُسل الطرف الأيمن وشيء مما يتصل به من الرقبة ومن الطرف الأيسر
- ٣- غُسل الطرف الأيسر وشيء مما يتصل به من الرقبة ومن الطرف الأيمن

ملاحظات:

١. لا يشترط أن يكون الغسل من الأعلى إلى الأسفل
٢. لا تُشترط الموالاة، فيمكن غسل الرأس والرقبة ثم غسل الطرف الأيمن بعد ساعة، ثم الجانب الأيسر بعد ساعة أخرى.
٣. يُجزئ غسل الجنبات ومس الميت عن الوضوء.
٤. إذا أحدث بالحدث الأصغر في أثناء الغُسل، فعليه أن يتم الغسل ثم يتوضأ، لو أراد الصلاة أو الإتيان بعبادة أو فعل يحتاج إلى الوضوء.
٥. قد تجتمع عدة أغسال واجبة، أو عدة أغسال مستحبة، أو يكون بعضها واجباً وبعضها مستحباً، فيمكن حينئذ أن يغتسل غُسلًا واحداً بقصد الجميع.

* وفق فتاوى آية الله العظمى السيد علي السيستاني.

العمرة المفردة - ١

العمرة المفردة من العبادات التي قد تجب على بعض المكلفين، كما أنها من المستحبات عموماً، ولها أحكام كثيرة نوجزها في درسين.

تتكون العمرة المفردة من ٧ واجبات هي:

الإحرام - الطواف - صلاة الطواف - السعي بين الصفا والمروة - الحلق أو التقصير - طواف النساء - صلاة طواف النساء.

١. الإحرام:

س: أين يتم الإحرام؟

يتم الإحرام من أماكن معينة خصصتها الشريعة الإسلامية المطهرة، ويسمى كل منها (ميقاتاً). وبالنسبة لأهل الكويت العازمين للعمرة المفردة عن طريق المدينة المنورة، فإن ميقاتهم هو (مسجد الشجرة) ويعرف أيضاً بـ (ذي الخليفة) و (أبيارعلي)، ويقع بالقرب من المدينة المنورة.

وأما إذا توجهوا إلى مكة أولاً عن طريق جدة، فيمكنهم الإحرام من جدة بالنذر بأن يقول المكلف (الله عليّ أن أحرم من هنا) ثم يُحرم.

س: ما هي أولى واجبات الإحرام؟

ج: لبس ثوبي الإحرام، حيث ينزع الرجل كل ثيابه المخيطة ويرتدي ثوبي الإحرام، أحدهما الإزار يستر ما بين السرة والركبتين، والآخر الرداء ويستتر به المنكبين.

س: ما هي ثاني واجبات الإحرام؟

ج: النية بأن يقصد الإتيان بما يجب عليه في العمرة المفردة قربة إلى الله تعالى، ويمكن التلفظ بالنية فيقول (أحرم للعمرة المفردة قربة إلى الله تعالى).

س: ما هي ثالث واجبات الإحرام؟

ج: التلبية، فإذا ارتدى ثياب الإحرام ونوى، كان عليه أن يلي فيقول (لَبَّيْكَ اللَّهُمَّ لَبَّيْكَ، لَبَّيْكَ لَا شَرِيكَ لَكَ لَبَّيْكَ، إِنَّ الْحَمْدَ وَالنَّعْمَةَ لَكَ وَالْمُلْكُ لَا شَرِيكَ لَكَ لَبَّيْكَ) مرة واحدة، ويستحب تكرار التلبية.

س: ما هي محرمات الإحرام؟

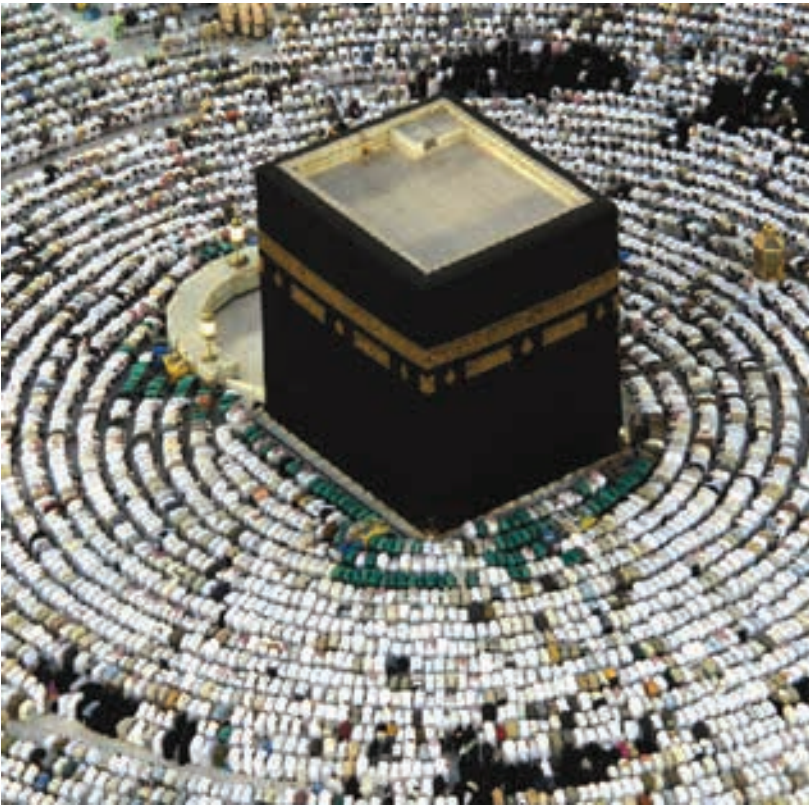
ج: إذا أحرم الفرد وجب عليه الاجتناب عن مجموعة من الأمور، هي:

١. الصيد البري

٢. العلاقة الجنسية بين الرجل والمرأة بكافة صورها كالتقبيل واللمس وغيرهما

٣. عقد النكاح لنفسه أو لغيره

٤. استعمال الطيب كالعطور والبخور والزعفران والبهارات، ويلحق بها المواد المطيِّبة كالصابون المطيَّب
٥. الاكتحال
٦. النظر في المرأة بقصد التزين
٧. إخراج الدم من البدن بالحك والجرح وغير ذلك
٨. الفسوق: أي الكذب والسب والتفاخر المهين للآخرين
٩. الجدال بقول (لا والله) أو (بلى والله) بقصد إثبات أمر أو نفيه
١٠. قتل القمل وإلقاؤه، ويلحق به قتل الحشرات التي لا تؤذي
١١. التزين بالتختم ولبس الحلي وما شابه
١٢. الأدهان إلا إذا كان للعلاج أو للضرورة
١٣. إزالة الشعر عن الرأس والبدن لنفسه أو لغيره بحلاقة أو نتف أو حك وغيرها
١٤. تقليم أظافر القدم أو اليد، ولو بعض الظفر
١٥. حمل السلاح
١٦. قلع الضرس
١٧. (للرجال) ستر الرأس والأذنين
بوضع شئ عليهما مباشرة كالقبعة والعمامة
١٨. (للرجال) التظليل، فلا يجوز للمحرم التظليل حال مسيره بظل متحرك مثل المظلة وسقف السيارة، ويختص هذا بالتظليل من الشمس والمطر
١٩. (للرجال) لبس الخف والجوارب والحذاء، ويمكن لبس النعل الذي لا يغطي تمام ظاهر القدمين
٢٠. (للنساء) ستر الوجه



* وفق فتاوى آية الله العظمى السيد علي السيستاني.

العمرة المفردة - ٢

نكمل درسنا حول بقية وجبات العمرة المفردة:

٢. الطواف حول الكعبة المشرفة:

بعد أن يصل الحُرْم إلى مكة المكرمة، يجب عليه أن يأتي بالطواف وسائر الواجبات.

س: ما هي شرائط الطواف؟

ج: يشترط في الطواف ما يلي:

١. النية، ويمكن التلفظ بها فيقول (أطوف حول هذا البيت سبعة أشواط للعمرة المفردة قربة إلى الله تعالى).
٢. الطهارة من الحدث الأصغر والأكبر، فلا يصح الطواف من غير المتوضئ والجنب والحائض والنفساء ومن في حكمهم، فلو طاف المحدث عمداً أو نسياناً أو جهلاً لم يصح طوافه.
٣. طهارة البدن والثياب من النجاسات كالبول والدم والغائط.
٤. ستر العورة وإباحة اللباس وتوفير سائر شروط لباس المصلي فيه.
٥. أن يكون الرجل مختوناً.

س: كيف يؤدَّى الطواف؟

ج: يجب في الطواف مراعاة الأمور التالية:

١. الابتداء من الحجر الأسود
٢. جعل الكعبة على يساره حال الطواف
٣. إدخال حجر إسماعيل عليه السلام في الطواف، فلا يدخل الطائف في الحجر
٤. الخروج عن الكعبة والشاذروان (وهو القدر الباقي من أساس الجدار القديم للكعبة)
٥. انتهاء كل شوط بالحجر الأسود، وبالتالي انتهاء الطواف به
٦. الإتيان بسبعة أشواط كاملة متوالية وباختياره

٣. صلاة الطواف:

إذا أتم المعتمر طوافه حول الكعبة بشكل كامل وصحيح، توجه فوراً خلف مقام إبراهيم عليه السلام ليصلي ركعتي الطواف بنفس كيفية صلاة الفجر إلا أنه لا يجب فيها الجهر في القراءة.

٤. السعي بين الصفا والمروة:

ثم يتوجه المعتمر بعد الصلاة نحو الصفا فيبدأ الشوط الأول من سعيه، فإذا وصل إلى المروة يكون قد أتم الشوط الأول، فيسعى نحو الصفا ويحتسب له شوط ثان، وهكذا حتى يتم سبعة أشواط، ويكون نهاية السعي عند المروة. ولا يشترط أن يكون على طهارة من الحدثين.

٥. الحلق أو التقصير:

وهو آخر أعمال العمرة المفردة، فيأتي به المعتمر بعد الانتهاء من السعي، وذلك بحلق كل شعر رأسه بالموسى أو الماكنة الناعمة (صفر)، أو أن يقصّر، وذلك بقص شئ من شعر رأسه. وبالتالي يتحلل المعتمر من إحرامه، ويستطيع أن يأتي بما حرم عليه بسبب الإحرام، كالتطيب ولبس المخيط، ولكن تبقى العلاقة بينه وبين النساء محرمة إلى أن يأتي بطواف النساء وصلاته.

٦. طواف النساء:

وهو من حيث الشرائط والواجبات لا يختلف عن طواف العمرة، وإذا أراد أن يتلفظ بالنية فإنه يقول: (أطوف طواف النساء حول هذا البيت سبعة أشواط للعمرة المفردة قربة إلى الله تعالى).

٧. صلاة طواف النساء:

وهي لا تختلف في كيفيةها عن صلاة طواف العمرة، وإذا أراد أن يتلفظ بالنية فإنه يقول: (أصلي ركعتي صلاة طواف النساء للعمرة المفردة قربة إلى الله تعالى).

ملاحظات:



١- لا يجوز الإتيان بعمرتين مفردتين في شهر قمري واحد فيما إذا كانت العمرتان عن شخص واحد، وأما إذا اعتمر لنفسه مثلاً ثم عن شخص آخر في نفس الشهر فلا مانع من ذلك.

٢- إذا أدى العمرة المفردة، وأراد الإتيان بعمره مفردة أخرى، وهو لا يزال بمكة، فإنه يمكنه الخروج من منطقة الحرم، فيذهب إلى (التنعيم) ويحرم من هناك.

* وفق فتاوى آية الله العظمى السيد علي السيستاني.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حواريات

انصحوا غيري أرجوكم

أنا اسمي ح ...

أول مظاهر التمرد عند الفتى إحساسه بأنه أكبر من النصائح.. لم يعد صغيراً.. كل إنسان: أبوه وأمه والمعلم والعم والخالة، الكل ينصحه بأن يأخذ باله من نفسه.

وفي الطريق إلى المدرسة أفكر في كلمات أمي.. فهي كلما شاهدت حلقة من الحلقات الحوارية في الفضائيات حول مشاكل الأبناء أو المخدرات أو المعاكسات وما شابه ذلك، فإنها سرعان ما توجه خطابات النصح والمواعظ، وتلعن هذا الزمان الذي اختلط فيه الحابل بالنابل، ولا تسألوني ما هو الحابل وما النابل!!

المهم أنها تحاول في كل مرة أن تؤكد لي أنها على دراية بكل تفاصيل تصرفاتي وعلاقاتي وإلى أين أذهب، ولم أكون حزيناً أحياناً.. وسعيداً إلى أقصى حد أحياناً أخرى.. فلا يفوتها شيء.. حسب ادعائها.. لأنها أم.. وقلب الأم دليلها!

شيء عجيب حقاً أنني أحتفظ في درجي الخاص بعبارات (حكيمه) لاذعة.. إنها نوع من (النصائح)، ولكن بصورة أخرى.. حتى هذه لا أريدها ولن أحتكم إليها.. ولأنني تعبت في جمعها، أحتفظت بها بعيداً عن أيدي إخوتي وأمي.. وكل الذي يربطني بها هو أنني اخترتها وكتبتها وأضفتها إلى ممتلكاتي الخاصة.. إلى خصوصياتي.. والآن اتخذت قراراً الحاسم.. أن أمزقها وأن ألقها في الزباله.. فقد كبرت على نصائح الآخرين.. أياً كانوا.. فهم لا يعرفونني ولا يوجهونها لي.. وإنما هذه النصائح كلام.. وكل واحد يأخذ منه المعنى الذي يعجبه.

وها أنا أراجع للمرة العشرين عن إلقائها في الزباله.. نعم سأعيد قراءتها مع أنها موجعة أحياناً.. وسأقرر بعد ذلك ما إذا كنت سأرميها أم أبقي عليها! بصراحة كلما قرأتها وجدت فيها كلمات تمس واقعي.. وتتكلم بلسان حالي في المواقع التي أعجز فيها عن التعبير.. كلمات تكشف لي نقاط ضعفي.. وقوتي.. ولكن تلك التي من النوع الأول أكثر.. ولعل هذا ما يزعجني فيها.. ويشجعني على التخلص منها.. ولكن هل بالتخلص منها سأخلص من عيوبي ونقاط ضعفي؟!

شيء ما بداخلي يدعوني لاحترام تلك الكلمات.. فموقعها ليس الزباله.. بل (عقلك ووجدانك).. هكذا يخاطبني الذي بداخلي.. وينصحني!! أترون هذه المفارقة.. حتى هذا الشيء الذي بداخلي ينصحني.. فهل أتخلص من نفسي وأرميها في (.....)؟

سأقرأ لكم بعضاً مما أحتفظت به من نصائح تحتزنها كلمات.. لعل بعضها ورثت على مدى قرون من الزمان، ومع هذا أحتفظت بنصارتها.. ولا أدري لماذا لم يقم أصحابها - أو أول من اطلع عليها - بإلقائها والتخلص منها.. وسمح لها بالبقاء كل هذا الزمن؟!

المهم استمعوا الآن إلى بعض منها:

- * كل جيل يتخيل نفسه أذكى من سابقه، وأعقل من الذي يحى بعده!
- * قاوم زمانك.. حاول أن تضع رجلك خارجه!
- * احتقارنا للذين قبلنا، يغري الذين بعدنا باحتقارنا أيضاً!
- * بين الأموات يوجد أناس يستحقون القتل!
- * كما أن الفلسفة هي دراسة أفكار الآخرين، فالتاريخ دراسة أخطاء الآخرين!
- * شئ فظيع أن ترى الماضي بكل ألوانه البشعة، قد عاد إلى الحاضر بألوان جميلة!
- والآن أخبروني..
- وبكل صدق..
- هل أتخلص منها؟
- أم أعيد قراءتها للمرة الحادية والعشرين؟!

نصوص للمناقشة:

- النبي نوح عليه السلام (وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصْرُوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا) نوح: ٧.
- النبي هود عليه السلام (قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ * أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ) الأعراف: ٦٧-٦٨.
- (الدين النصيحة) النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم.
- (ما أخلص المودة من لم ينصح) الإمام على عليه السلام.
- (مناصحك مشفق عليك، محسن إليك، ناظر في عواقبك، مستدرك فوارطك، ففي طاعته رشادك، وفي مخالفته فسادك) الإمام على عليه السلام.
- (تمسك بجبل الله واستنصحه) الإمام على عليه السلام.
- (مرارة النصيح أنفع من حلاوة الغش) الإمام على عليه السلام.
- (اتبع من يبيحك وهو لك ناصح، ولا تتبع من يضحكك وهو لك غاش) الإمام على عليه السلام.
- (مشاورة العاقل الناصح رُشد ويُمن وتوفيق من الله، فإذا أشار عليك الناصح العاقل فإياك والخلاف، فإن في ذلك العطب) الإمام على عليه السلام.

* مقتبس بتصرف من كتاب مذكرات شابة غاضبة : أنيس منصور

أولى الناس

- مللتُ قراءة الكتب التي تتحدث عن بطولات وأجداد أمتنا في الماضي..
 - تهافت الناس على الإسلام بمجرد وصول جيوش المسلمين إلى مشارف بلدتهم..
 - تاجر واحد استطاع أن يغير ملايين البشر وينقلهم من ظلمات الكفر والجهل إلى نور الإيمان والعلم..
 - امرأة استطاعت أن تهز كيان خليفة زمانها.. فانتصر لها.. وهزم الأعداء..
 - ... و... و...

قصص لا حد لها بدأت أشك في أن كثيراً منها لا يعدو أن يكون من أساطير الأولين.. لا تختلف كثيراً عن قصص الجن ومردة الشياطين والشاطر حسن في حكايات ألف ليلة وليلة.
 هل يعقل أن يكون أجدادنا بكل تلك العزيمة والقوة والدهاء وصلابة الموقف وارتفاع الهمة والعمل الدؤوب.. ونكون نحن - أحفاد أولئك الذين مضوا - على هذه الحالة؟ حتى أعواد الكبريت في بيوتنا كتب عليها (Made in Sweden)! وإذا أراد أحد أن يرسم لوحة كاريكاتورية أو يتكلم عن الضعف والتفكك والتخلف والديكتاتورية.. أشار إلينا بالبنان!!

Hi - Cool - Ok .. كلمات دخلت قواميسنا وأصبحت من صلب المفردات اليومية.. وأكثر من ذلك، حتى التعبير عن الدهشة أو السعادة أو الاستهجان أصبحت تنعكس بالطريقة المستوردة.. كل شيء مستورد!!
 أتذكر أننا في المدرسة.. في المرحلة الابتدائية.. قرأنا قصة الثيران الثلاثة: الأحمر.. الأسود.. الأبيض.. وكيف أستطاع الأسد أن يأكلهم جميعاً بعد أن فرّق بينهم حتى قال آخرهم (أكلت يوم أكل الثور الأحمر).. وها نحن اليوم.. نعيش مأساة الثيران الثلاثة.. ففي كل يوم نقرأ عن ثور أحمر يؤكل.. وأسود يُسلخ جلده.. وأبيض يبكي في مكانه بانتظار (المصير المحتوم)!

فلماذا نخدع أنفسنا؟ هذا الزمان ليس زماننا.. بل اعتقد أنه لم يكن أي زمان زماننا.. عيَّشونا في وهم الماضي وأكاذيبه.. وها نحن نعيش في كوايبس الحاضر وأحلام المستقبل.. والكل من حولنا يتقدم على أرض الواقع ويخطئ تسبقنا آلاف السنين.. لأبسط مثال انظر إلى الجدول التالي:

اسم الدولة	إجمالي الناتج الداخلي للدولة
الولايات المتحدة الأمريكية	١١,٦٦٧,٥١٥ مليون دولار
اليابان	٤,٦٢٣,٣٩٨ مليون دولار
ألمانيا	٢,٧١٤,١٨٩ مليون دولار
الصين	٢,١٤٤,٠٠٠ مليون دولار

لاحظ أن الصين استطاعت خلال أقل عقدين من الزمان أن تقفز هذه القفزة الموهولة لتصبح رابع أكبر قوة اقتصادية في العالم وبهذا الرقم الرهيب، الذي لا أعرف كيف أقرؤه! ويتوقع لها الخبراء أن تحقق نمواً أكبر وأكبر خلال الأعوام القادمة، ويستثمر فيها الآن ٩٠% من أكبر شركات العالم! ومن جهة أخرى نلاحظ أن الناتج الإجمالي لكل الدول العربية يبلغ ٧٥٠ مليار دولار عام ٢٠٠٤، بينما بلغ الناتج الإجمالي لأسبانيا وحدها - وهي ليست من الدول الأوروبية الغنية - أكثر من ٩٩١ مليار دولار عام ٢٠٠٥.

وتقدّر إنتاجية العامل العربي في القطاع الصناعي بنحو ٨٠٠ دولار سنوياً مقارنة بستين ألف دولار سنوياً في المجتمعات الصناعية الكبرى.

وسجّلت دول الشرق الأوسط وشمال أفريقيا أعلى معدلات بطالة في العالم سنة ٢٠٠٢م إذ بلغت ١٨% ووصلت عربياً إلى ٢٥%، ففي مصر وحدها كانت النسبة ٧٨,٤% بين الشباب، وفي سوريا ٦٨% وفي الأردن ٥٨%! أما من حيث الحركة الثقافية فيكفي أن نعرف أن مجموع ما ترجمه العرب من العصر العباسي إلى يومنا هذا يصل إلى ١١ ألف كتاب تقريباً، وهو مجموع ما ترجمه أسبانيا في سنة واحدة!!

والآن.. ألا توافقوني أننا نعيش في واد.. والعالم كله في واد آخر؟ ألا تشاركوني التشاؤم الذي يملأ كياني.. والشكوك التي تساورني حول الماضي؟

عندما أقرأ القرآن أجد أن نصوصه تؤكد على أهمية العمل، وقوة الإرادة، والإخلاص وتنظيم الأمور وما إلى ذلك، وهذا نموذج النبي نوح عليه السلام (فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا) العنكبوت: ١٤، تسعة قرون ونصف القرن من العمل الدؤوب لهدف.. ولم يفتر من عزمه إذ لم يثمر ذلك كله إلا ثمانين مؤمناً! ألسنا أولى الناس أن نمتلك مثل هذه الروحية؟!

تعليق:

لا أختلف مع صديقنا (ح....) في كثير مما ذكر، ولكنني أتصور أنه بالغ كثيراً في رفض حقائق التاريخ بخصوص أمجاد المسلمين وامتداد الإسلام. والسؤال المهم: لو كان القرار والتنفيذ بيدك، فما هي الخطوات التي تتخذها للخروج من هذا المأزق؟



أنا رجل !!

كنت أقرأ ذات يوم أن العلماء اكتشفوا نوعاً عجيباً من الخنافس (الخنافس أنواعها ربع مليون وتعيش على الأرض منذ ٣٣٠ مليون سنة) لا تعيش إلا على أشجار الصنوبر، فإذا غزتها بدأت الإناث تفرز رائحة قوية لجلب الذكور نحوها.. ومثل هذا طبيعي في عالم الحيوان.. ولكن الملفت للنظر أن الماعرك لا تلبث أن تنشب بين الذكور.. فيتساقطون بالألوف ولا يبقى منهم إلا القوي.. الأقوياء فقط.. ثم تقوم الإناث بإفراز سوائل لها رائحة كريهة.. تخنق الذكور.. فتهدأ الماعرك.. فإذا ما اختارت إحدى الإناث الذكر الذي أعجبها.. فلا بد أن يؤكد أنه عند حسن ظن الأنثى.. فأول ما يفعله أنه يقتل لها اثنين آخرين من الذكور.. وتقوم الأنثى وتتمشي على جثث الضحايا!! وعلى الذكر أن يطير بعيداً عن الشجرة ثم يعود ليجد الأنثى قد ألفت بالجتتين بعيداً! ولربما يجدها قد اختارت خلال هذه المرة ذكراً آخر.. فتتشب الماعرك من جديد!!

هذه المشاهد ذكرتها بما يجري في بعض المتنزهات والأسواق العامة بالشباب من الجنسين.. وقد ذهبت بنفسى عدة مرات.. إما من باب التجربة.. أو الفضول.. المهم أن قدمي وطئت تلك الأماكن.. وتلمست ما يجري عن قرب.. ولكي أكون أكثر وضوحاً وصدقاً، فإنني كنت خائفاً في تجربتي الأولى.. فقررت أن أصحب بعض أصدقائي الذين اعتادوا على ارتياد مثل هذه الأماكن.. ولكنهم اشترطوا عليّ شرطاً.. قالوا: عليك أن تكون (كولاً).. أي أن تغير مظهرك العادي جداً لأنه (يضيق الخلق).. وقال أحدهم: (كأنك جدي.. الله يرحمه).. وقبلت الشرط.. وتوكلنا على (.....)!!

المهم أنني أصبحت وفق مفهومهم (Cool).. شعر (فنكي).. كم طويل وكم قصير.. البنطلون نازل إلى أقصى حد.. سماعة (البلوتوث) في الأذن.. والباقي معروف.. دخلت الجمع مع أصدقائي.. وبصراحة لجهلي بما سيقدمون عليه وما هي طبيعة التصرفات التي تحافظ على كوني (كولاً).. فقد صرت متأخر عنهم بضع خطوات.. أراقب تصرفاتهم.. وأحاول أن أقلدتها.. (غشيم)!! وبدأوا (يعبّطون) لجلب أنظار بعض الفتيات.. و(عبّطت) مثلهم.. زاد العيار قليلاً.. وبدأوا التحرش ببعض الشباب الذين جاءوا (للقز) مثلنا.. ولا أعلم ما الذي جرى بالضبط.. ولعل الأمر يعود إلى النزاع على مناطق النفوذ داخل الجمع!! أو هكذا بدا لي الأمر.. المهم سرعان ما تحولت (التحرشات) إلى (مصارعة).. و (المصارعة) إلى ضرب.. وطبعاً لم يخل الأمر من محاولة إثبات الرجولة من قبل كل طرف.. ولكل الفتيات الحاضرات في الجمع.. وأنا مضطر - من باب الصداقة - أن أدخل في المعركة.. وحصلت (ضرب سنة في ساعة).. فأنا من النوع المسالم الذي لم يعتد على (المصارعة والملاكمة) من قبل.. لا أطيل عليكم الكلام.. إذ سرعان ما جاء بعض أفراد أمن الجمع، وأسرع الشباب هرباً يميناً ويسرة.. ووجدت نفسي في قبضة أحدهم وهو يسوقني إلى غرفة الأمن في زاوية من زوايا الجمع.. وبدأ يُجرى اتصالاته.. وأنا بالقرب منه أنظر إلى واجهة إحدى المحلات.. مكتبة في الواقع.. ووقعت عيني على كتاب

بعنوان (دنيا الشباب).. وفي الأثناء جاءني صوت مسئول الأمن وملؤه التعنيف والغضب وصار يردد ويزبد.. ثم أخذ بعض بياناتي.. وجعلني أمضي على كتاب تعهد بعدم تكرار ما حصل.. حمدت الله أن الموضوع انتهى عند هذا الحد.. فدخلت المكتبة واشترت الكتاب.. ثم توجهت إلى المغاسل.. أعدت تصفيف شعري وغسلت وجهي وآثار الدماء من السجحات.. واخترت زاوية في المجمع تحتوي على مجموعة من المقاعد العامة.. جلست.. تصفحت الكتاب.. وقرأت الأسطر التالية:

[عندما نتحدث عن عنفوان الرجولة الذي هو العنصر الذي يدفع الشاب لتأكيد ذاته في نطاق ذكوريته وفي حركة القوة فيه، نجد أنه يتحول بفعل الاندفاع الساذج إلى حالة عدوانية، ربما يستعرض فيها عضلاته أمام الآخر، وربما يهاجم الآخرين الذين يعيشون في بعض مواقع الضعف، وربما تمثل هذه الحالة في بعض الجرائم التي تجلب ربحاً أو تحقق لذة وما إلى ذلك مما يفعله المراهقون من الشباب. فمن الممكن في هذا المجال الإيحاء للشباب بأن الرجولة ليست من المسائل التي تتصل بهذه الأفعال العدوانية أو يمكن أن يتمحور في موقع القوة في الذات، ويحقق لها معنى الرجولة بحيث يفتح على معاني الإنسانية التي تضيف إلى إنسانيته بُعداً إنسانياً حركياً، كما تضيف إلى رجولته بعداً رجولياً قوياً. إذ ليس مهماً أن يكون الإنسان قوياً أو غير قوي في ما هي ذاتية القوة في معناها المظهري، أي بما تتمظهر به من أشكال وألوان، بل المهم أن تتكامل القوة الجسدية مع القوة الروحية والقوة السياسية والاجتماعية التي تعنى الرجولة في أكثر من بُعد، كما أنها تقوي الموقف على أكثر من صعيد.

فالتربية التي تتركز في هذا الخط بالنسبة للشباب في شعورهم بالقوة يمكن أن تملأ الفراغ الذي يبحث عن ملؤه من جهة، كما تمنع انحرافه في الاتجاه المعاكس، فضلاً عن أن الإيحاءات الدينية للشباب المسلم يمكن لها أن تطوِّق الحالة العدوانية لديه، كما نوحى للشباب المؤمن أن قوته الجسدية التي يستخدمها ضد الضعيف هي حالة من حالات ضعف الإرادة أمام الشيطان، كما أنها تؤدي إلى الضعف في المصير عندما يواجه عذاب الله تعالى في يوم القيامة. ويمكننا أيضاً أن نستوحي ذلك من بعض الآيات التي تعتبر الصبر من عزم الأمور (وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ) لقمان: ١٧، كما نستوحيه من قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم: (ليس الشديد بالصرعة إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب). طويت دفتي الكتاب.. ونهضت عائداً إلى البيت.. حاملاً تجربة مريرة وكتاباً قيماً..

للحوار:

كيف يمكن توجيه القوة والعنفوان عند الشباب في الاتجاه الإيجابي؟

لعنة من جيل.. إلى جيل

الشباب مغضوب عليهم.. ومن الضالين.. في كل عصر. والذين يلعنون الشباب هم الذين أكبر منهم سناً، وهؤلاء الأكبر سناً حريصون على أن يظلوا شباباً أيضاً.. يذهبون إلى الحلاق ليصبغ لهم شعرهم الأشيب.. وإلى الطبيب ليعد لهم حيوية العمر الذي مضى.. وإلى العطار بحثاً عن أكسير الشباب.. وهم جميعاً يريدون أن يحتفظوا بالأناقة والصحة.. ويبحثون أيضاً عن وسائل رياضية أو طبية للرشاقة.. إلخ إلخ إلخ. وهم في نفس الوقت يلعنون الشباب.. وينسون أنهم كانوا شباباً وأنهم كانوا ملعونين مغضوباً عليهم.. ضالين.. إلى نهاية القائمة.

وقد قرأت أنه عثر أحد أساتذة جامعة الإسكندرية على مخطوطة نادرة عمرها أكثر من ألفي سنة.. وفي هذه المخطوطة يسجل الأب الذي جاء من الريف لزيارة ابنه الذي يدرس في معاهد بالإسكندرية.. وأنه لم يجده.. وأنه قد عاد حزيناً.. ولم ينم الأب والأم تلك الليلة.. وقد علم الأب بعد ذلك أن ابنه يركب الخيول والعربات.. وأنه يقضي نهاره في اللعب على الشاطئ على البلاجات.. وأنه لم يسترح إلى شكل ملابسه.. وأن هذه الملابس تدل على اختلاطه الكثير بالفتيات.. فألوان الملابس متعددة.. ثم إنها من قماش ليست فيه خشونة الرجولة!

وقرأت ذات مرة في حكم الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام هذه الحكمة (لا تُقسروا أولادكم على آدابكم فإنهم مخلوقون لزمان غير زمانكم) وفي نص آخر (لا تقسروا أولادكم على أخلاقكم.. إلخ) فطرتُ طرباً لهذه الكلمات التي أشعر أنها تؤيد موقف الشباب.. وتريد أن توصل رسالة مهمة للآباء والأمهات.. لا أدري بالدقة ما الذي عناه الإمام.. ولكنني على يقين بأن الأمر لصالحنا.. نحن الشباب.

وصرت أفكر في المعنى الذي أراد الإمام إيصاله من خلال هذه الحكمة.. فمن الأخلاق والآداب والقيم ما هو واجب شرعاً وتحرم مخالفته.. وذلك من قبيل الصدق والأمانة والوفاء بالعهد وبر الوالدين وصلة الأرحام.. ولا يعقل أن يطلب الإمام عليه السلام من الآباء أن لا يعلموا ولا يرشدوا أبناءهم إلى هذه الأخلاقيات. ومن الأخلاق والآداب ما هو صفة حسنة محببة إلى القلوب وإن لم تصل إلى درجة الوجوب.. وذلك من قبيل التحية وبشاشة الوجه والمصافحة عند الالتقاء بالآخرين وعيادة المريض وزيارة الأصدقاء.. وهذه أيضاً لا يمكن أن يطلب الإمام من الآباء أن لا يعلمونها لأبنائهم ولا ينصحونهم بها.

وهذا ما دفعني للبحث في الكتب عن تفسير لهذه الحكمة.. فوجدت هذه الكلمات الجميلة للمرحوم السيد حسن القبانجي في كتابه شرح رسالة الحقوق حيث يقول [الكلمة هذه خليقة بأمر المؤمنين علي، لأنه عودنا التجديد في ما يقول، ونهجه حافل بأمثال هذه الروائع، إذ عودنا على التنبؤ في المغيبات، وعلمنا كيف نستقبل الحياة جديدة، ونستدبرها قديمة، فهو المجدد الأول في عهده مع صلابة في التمسك بمبدئه والاحتفاظ بعقيدته..

فالمعني للإمام بقوله (لا تُفسروا أبناءكم على أخلاقكم) إنما هو العادات والسجايا والتقاليد التي تلائم عصر الآباء ولا تتسق بالأبناء من وراء الرقي المفروض بدافع التطور الطبيعي في الإنسان. ومثالاً على ذلك: إنا نحن الآباء درجنا في جيل مضى على أن نلبس الجلباب ونأكل باليدين ونضطجع أو ننام على الأرض، وأن نتخذ من دورنا محافل وأندية للسمر والتندر.. وهكذا كنا ندرس في المساجد فرادى فأصبح أبنائنا يدرسون جماعات وفي معاهد يلتقي الدين فيها بالدنيا، بينما كانت دروسنا قاصرة على الفقه أو ما يلزم الفقه من لغة وبيان.. وهكذا نجد طراز حياتنا قبل خمسين عاماً قد تغير وتحول في أبنائنا إلى طراز آخر، فليس لنا أن نكره أبناءنا على ذلك الطراز ليتخلقوا به فنركسهم إلى الوراثة، والراكب يستقبل الأمام. ربما كان لنا الحق في أن نفسرهم على أخلاقنا الكريمة إذا لم يكن بين أيديهم إلا أخلاق السوء، تذهب شوائب الجيل الحديث بهم مذاهب شتى لا يستقرون فيها على حق ولا يطمثون إلى حياة، حينئذ فقط علينا أن نكرهم ما استطعنا - أو أن نقنعهم على الأصح - بأن ما استدبروا من الحياة خير لهم مما يستقبلون وأن ماضي آبائهم في خشونته واستقراره خير لهم من حاضريهم في نعيمه وقلقه وانهيائه. أذكر من سجايانا الطيبة أن للجار على جاره حقاً لا يقل عن حق القريب على قريبه، وأن الجار يتفقد جاره أبداً ويتعهده بكرم الجوار وحسن الأحدثه حتى



لا يشعر بغربة أو وحشة في جوار. فالإمام يحث على تحرير الأجيال في عاداتها بعد أن يطمئن إلى أن الدين كفيل بردع الأمة عن سوء ما تتخلق به من طبائع قد تفضي بها إلى الإنهيار...
وأما أنا فقد بدأت أفكر في مفردات العادات والسجايا والتقاليد التي يحق لكل جيل أن يعيد النظر فيها ويحددها.

للحوار:

ما هي أمثلة هذه الآداب والأخلاق التي ذكرها الإمام علي عليه السلام في حكمته؟

هل الدنيا مظاهر؟

يهتمّ الشبان بمظاهرهم.. وتولي الفتيات مظاهرهنّ عناية فائقة كجزء من لفت أنظار بعضهم لبعض.. وقد يأتي الاهتمام بالمظهر الخارجي كصورة من التفاخر والتباهي على الأقران أصدقائه أو صديقات. وإذا سألت أحدهم أو إحداهنّ عن السبب في المبالغة بالاهتمام بالمظهر يأتيك الردّ: (الدنيا مظاهر). والقرآن قد وصف الدنيا بأنها دار هو وغرور وزينة وتفاخر وتكاثر، لكنّه أراد بهذا الوصف أن يذمّ هذا الوجه منها، وإلاّ فهو قد دعا إلى الأخذ بنصيب الدنيا (وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا) القصص: ٧٧، أي التمتع بملذاتها في غير محرم، واغتنامها كفرصة للطاعة وللإبداع الإنساني الذي يخدم الإنسانية ويعمر الأرض بالحق والخير والجمال والعدل.

إنّ تعبير (الدنيا مظاهر) ينمّ عن حالة ثقافية واجتماعية تولي العناية بالمظهر اهتمامها الأوّل بحيث يصبح مظهر الانسان لا جوهره هو القيمة.

فدو الملابس الفاخرة.. والسيارة الفارهة.. والقصر المنيف.. إنسان فاخر. وذات الملابس الزاهية الغالية.. والزينة المترفة الباذخة.. من أساور وأقراط وقلائد.. إنسانة من الطبقة الراقية.

ولا بدّ من التنبّه إلى أنّ (الفخر) هناك و (الرقّي) هنا ليسا حقيقيين وإنّما اعتباريان، أي أنّ الناس وبسبب التخلف الثقافي يعتبرون المظاهر فخراً ورقياً.

وأذكر قصّة ذلك الرجل الذي دخل إلى مأدبة فلم يأبه به أحد لأنّ الدعوة كانت مخصّصة لذوي المظاهر.. وحين ارتدى ملابس فاخرة لفت الأنظار وجذب الاهتمام.. حتى أنه حينما جيء له بالطعام لم يتناول منه شيئاً، بل قدّمه إلى ملابسه، وقال لها: كلي.. فهذا لك! فتعجّب الحاضرون من هذا المشهد الذي يكشف عن أنّ الاهتمام كان منصباً على المظهر وليس على صاحب المظهر.

ولو أردنا أن نعرف حقيقة (الفخر) لقلنا أنّ من حقّ الانسان أن يفخر بقدراته ومواهبه وأفكاره وإبداعاته ومساهماته في خدمة المجتمع.



وأنّ (الرقّي) الحقيقي هو في النمو المطرد الذي نلحظه على تفكير الإنسان وتعامله أو تعاطيه مع الأشياء والأشخاص والأحداث.

إنّ واحدة من أبلغ رسائل الحجّ التي يقدّمها الإسلام لأتباعه هي أنّ الله لا يعبأ بأشكال الناس وملابسهم.. بل بما انطوت عليه قلوبهم وسرائرهم.. ورسالة ثوبي الأحرار

شبيهة إلى حد كبير بالكفن الذي يُلفّ به جثمان الإنسان في آخر المطاف.
 إنّها رسالة تقول للإنسان أنّ ما يميّزك عن أخيك الإنسان الآخر هو عملك وعلمك وتقواك.. وما عدا ذلك
 فلا قيمة له ولا اعتبار.. سواء لبست الحرير أو ارتديت الأسماك. وهذا هو أحد جوانب الصورة.
 أمّا الجانب الثاني.. فإنّنا لا نريد من الحديث عن المظاهر أن نهمل مظاهرنا وأن نرتدي الثياب المرقعة
 البالية.. فالزّي الجميل والنظيف يضيف على حسن الإنسان حسناً آخر.. لكنّنا نؤكد ونركز على الجوهر
 والمضمون أكثر من التركيز على المظهر والشكل. فالثياب والزينة - حتى الفاخر والغالي منها - تبلى
 وتتغير ألوانها وتهبط أسعارها وربما تسقط موديلاتها - إذا جارينا النظرة إلى الموضة - لكنّ أخلاق الإنسان
 وفكره وأسلوب تعامله وشمائله لا تبلى.. بل يمكن أن تتجدّد وتزداد قيمتها مع الأيام.. فالله لا ينظر إلى
 أجسامنا وأشكالنا وأزيائنا وإنّما ينظر إلى قلوبنا.. أي المحتوى الداخلي لكلّ منّا.. وفي ذلك يقول الشاعر:
 إذا المرء لم يدنس من اللؤم عر ضه فكلّ رداء يرتديه جميل

للحوار:

ما هي أهم مظاهر اعتناء الشباب بمظهرهم الخارجي؟ ومتى يعتبر الشاب قد تجاوز الحد المعقول في ذلك؟

